أرواح شريرة

تأليف: هنرى چيمس

ترجمة: الشريف خاطر

مراجعة: مختار السويفى

المؤلف

ولد « هنرى جيمس » سنة ١٨٤٣ ومات سنة ١٩١٦ ·· وهو يعتبر من اشهر الروائيين الأمريكيين · فى شبابه درس القانون فى جامعة « هارفارد » ، ولكنه كان يهوى الأدب وبرع فيه ووهبه حياته كلها ·

وبعد ان بلغ الثلاثين انتقل الى اوربا وعاش فى انجلترا التى كان يحبهـا · وفى سـنة ١٩١٥ تجنس بالجنسية البريطانية تعاطفا منه مع الانجليز اثناء الحرب العالمية الأولى ·

قبل أن تبدا القصة

ذات ليلة من ليالى اعياد الميلاد ، كنا جالسين حول المدفأة نحكى قصصا عن الأرواح · واستمعنا الى حكاية او حكايتين عن الأرواح الصغيرة غير المؤذية التى تظهر للناس من وقت لآخر ، لكنها لا تتدخل فى شـــئونهم ·· وسمعنا كذلك بعضا من تلك الحكايات المخيفة عن انواع اخرى من الأرواح الشـــريرة المؤذية · وقص علينا جورج حكاية من تلك الحكايات · وبعدها ساد صـــمت لفترة وجيزة ·

علقت قائلا : اعتقد ان ذلك الشخص ، قد عاش حياة

شريرة ، وعندما مات لم تستطع روحه أن تستريح فى سلام ·

فوافقنى جورج قائلا : « هذا النوع من الأرواح يعود للحياة لينشر الأذى بين الناس ويتسبب فى وفاتهم » ·

فقال جريفين : « لكن ليس من السهل بالنسبة لها أن تفعل ذلك · كما أنه ليس متاحا لكثير من الناس أن تتصل بالأرواح الشريرة · فلابد أن تكون انسانا ذا حساسية خاصة · ومازال لدى القليل من الناس تلك القدرة على رؤيتهم رأى العين · واعتقد أن الروح تتمنى أن تظهر فى هيئة انسانية ليتعرف عليها الناس فى شكلها المألوف » ·

قال جورج : « ليس هذا كل شىء ، فالروح لاتستطيع أن تعتمد على امكانية الكلام ، ومن ثم فهى تفصح عن رغباتها بطرق اخرى · فمن الممكن أن تظهر على هيئة شخص ، او ربما تتسلل بهدوء خلال افكار الانسان · لكن مهما يكن الشكل الذى تظهر به الروح ، فهى تحتاج الى نوع من الترحيب الوجدانى ، حتى تحقق النجاح · وبطبيعة الحال ، فان الاعمال الخيرة هى الدفاع الأكيد

ضد اى روح شريرة ، والتى تعد بمثابة سلاح لاتستطيع مقاومته » ·

وساد الصمت بيننا ثانية لفترة قصيرة · فقد كنا جميعا نفكر فى قصة جورج · فقد قيل انها حدثت حقيقة ، مما جعلنا نكتم انفاسنا لمدة عشرين دقيقة · وقال أحدنا انه لم يسمع من قبل ابدا أن روحا شريرة ظهرت لطفل ·

قال دوجلاس : « ذلك بالتأكيد يجعل الأمر اكثر سوءا لكنه حدث من قبل · فربما يكون للأطفال بصفةخاصة حساسية شديدة لمثل هذا النوع من الاثارة والخطر · ولو كان الطفل يضفى على القصة تاثيرا بالغا ، وكأنه نوع من المبالغة ، فما رأيكم اذا كان هناك طفلان ··· ؟ »

أجاب واحد منا : « نقول ان طفلين بالطبع يضاعفان من المبالغة فى التاثير · ونحن نريد أن نسمع حكايتهما » ·

نهض دوجلاس واقفا وظهره للمدفأة وتطلع الينا وقال :

« لا احد غيركم سمع هذه الحكايـــة ابدا · حكاية مرعبة · تفوق التصور »

— « هل تقصد بذلك انها ستخيفنا ؟ »

— « انها ليست بمثـــل هذه البساطة · وحقيقة انا لا اســـتطيع ان اشـرح · فسوف تجبركـم على التفكير . والتخيل ····· »

فصاحت احدى السيدات : « أوه ، رائع ! »

قلت : « حسن اذن ، فلنجلس وتبدأ » ·

— « لا استطيع ان ابدأ · فالقصة مدونة ، وانا لم احضرها معى ، هى فى درج مغلق بشقتى وينبغى على ان ارسل لاحضارها · لم الق عليها نظرة منذ عدة سنوات ·

اصبنا جميعا بالاحباط عندما قال ذلك ·

فواصل كلامه : « ساكتب الى خادمـــى وابعث اليه بمفتاح الدرج ·· وبامكانه ان يرســـلها الينا بمجرد ان يجدها » ·

قلت : « أرجوك افعل · وسوف نستمع الى القصة قبل نهاية الاجازة ·· هل هى تجربة خاصة بك ؟ » ·

— أوه ، كلا ، والحمد لله !

— « هل هى من تاليفك ؟ هل انت الذى كتبتها ؟ » ·

فربت على قلبه وقال : « كلا ·· لكن الخوف والقبح والألم لهذه القصة يكمن هنا · لم أستطيع نسيانها ابدا » ·

— « لكن النسخة ··· ؟ »

— « النسخة مكتوبة بحبر باهت قديم بخط غاية فى الجمال » ·

وتردد للحظة وقال : « خط امـــرأة · لقد ماتت منذ عشرين عاما · وارسلت الى الأوراق قبل أن تموت » ·

كان جميعنا ينصـــت له فى تلك اللحظة ، وبالطبع سالته احدى السيدات عما اذا كان قد وقع فى حبها ·

لم يجب دوجلاس · **لكنه قال :** « كانت انسانة فاتنة للغاية ، لكنها كانت تكبرنى بعشر سنوات · كانت مربية أختى » ·

ثم قال بهدوء : « كانت الطف انسانة عرفتها كمربية ، كان ذلك منذ فترة طويلة وحدثت لها هذه التجربة المرعبة ، قبل ذلك بفترة طويلة · كنت وقتها طالبا فى الجامعة ، وقابلتها فى بيت اختى عندما ذهبت لزيارتها فى الصيف · كان صيفا جميلا وتمتعت فيه بشـــىء من الحديث معها والنزهات فى الحديقة ·· اه ، اجل ، ليست بكم حاجة الى الضحك · فلقد اعجبت بها كثيرا جدا ، وانا مازلت سعيدا حتى الآن لاعتقادى انها اعجبت بى ايضا · فلو لم تكن كذلك لما روت لى القصـــة · فهى لم تقلها لأى احد على الاطلاق ، ليس لأنها قالت ذلك ، بل لأننى كنت اعرف انها لم تقلها لأحد ·· كنت متاكدا من ذلك · وسف تكتشـفون السبب فى ذلك بسهولة عندما تسمعون القصة » ·

سألته : « اكان ذلك بسبب الأشـــياء التى اخافتها كثيرا ؟ »

نظر الى دوجلاس مباشرة **وقال :** « سوف تكتشف ذلك بسهولة » ·

ثم ردد قائلا : « انت ، ستكتشف ذلك بنفسك اذا لم يفعل اى انسان آخر ؟ » ·

ـ « فهمت · كانت تحب » ·

ضحك ثم قال : « انت مامر · اجل ، كانت تحـب ، اعنـــى لقد كانت تحب · اكتشفت ذلك ايضا · فلم تكن لتستطيع أن تحكى القصة دون أن تبوح بسرها · وانا عرفته ، وكانت هى تعرف أننى اعرفه ، لكن لم يتحدث احد منا الى الآخر بخصوص ذلك · »

قلت : « سوف تتسلم الطرد صباح يوم الخميس » ·

ـ « اجل ، محتمل · »

ـ « اذن ، فبعد العشاء يوم الخميس يمكنك ··· ! »

فقال دوجلاس : « ساقراها لكم » ·

سألت احدى السيدات : « من الذى كانت تحبه ؟ »

فاجبت انا : « سنعرف ذلك من القصة » ·

ـ « أوه ، لكننى لا استطيع انتظار القصة ! »

قال دوجلاس : « لن تكشف القصـــة عن ذلك ، على الأقل ليس بالطريقة المعهودة » ·

– « هذا ظلم · فهذه الطريقة الوحيدة التى افهم بها » ·

وتساءل شخص آخر : « إذن لن تقول لنا يادوجلاس »

– « أجل ·· غدا ·· الآن ينبغى أن اذهب الى الفراش · ليلة طيبة » !

وتركنا فجاة ·

وما ان سمعنا خطواته على السلم ، **حتى قالت السيدة جريفين :**

– فى الحقيقة ، أنا لا أعرف من الذى كانت تحبه ، لكننى أعرف أنه كان يحبها ·· !

فقال زوجها : « لقد كانت تكبره بعشرة أعوام · »

– « مازال ذلك سببا معقولا ·· فى سنه هذه ! لكن صمته الطويل شىء لطيف جدا أليس كذلك ؟

قال جريفين : « أربعون عاما ! »

قلت : « غدا مساء سوف نستمع الى المزيد عن

القصة ، وبعد ذلك نستمع الى القصة باكملها يوم الخميس · »

بعد ذلك القى كل منا على الآخر تحية المساء وذهبنا للفراش ·

فى اليوم التالى علمت ان رسالته التى بها المفتاح ، قد أرسلت على عنوانه فى لندن فى بريد الصباح · وتركناه وحيدا الى مابعد العشاء ، بعد ذلك كنا مشوقين لسماع المزيد عن القصة · وكان هو على استعداد تام ليواصل تقديمه للقصة · قال ، انه لابد حقيقة من ضرورة قول بعض الكلمات القليلة اذا كان لنا أن نفهم القصة بشكل مناسب ·

قال دوجلاس : « ان النسخة الخطية التى كتبتها صديقتى تبدأ بعد فترة قصيرة من التمهيدات الأولية التى قمنا بها · وينبغى عليكم أن تعرفوا بالضبط ماذا كانت هذه التمهيدات ·

« كانت الابنة الصغرى من عدة بنات لأب فقير يعمل قسيسا فى الريف ، وفى سن العشرين تحتم عليها أن

تكسب قوتها بنفسها · فقررت أن تصبح مربية أطفـــال ، وسرعان ما قرأت اعلانا يناسبها فى أحد الجرائد اللندنية فكتبت اليه وتلقت ردا بدعوتها لمقابلة صاحب الاعلان فى بيته بشارع هارلى ·

« وهكذا سافرت الى لندن وتوجهت مباشـــرة الى شارع هارلى · وبهرها حجم البيت وجماله ·· لكن ليس ليس أكثر من صاحب البيت الشاب نفسه · فلم تكن تلك الفتاة الريفية المرتبكة قد رأت رجلا أبدا طوال حياتها ، الا فى أحلامها · كان مظهره رائعا جسورا ، لطيفا ، مرحا وعطوفا · كان شابا ، وغير متزوج ·

« لكن الشىء الذى أعجبها كثيرا فيه ، هو أنه التمس منها أن تقبل العمل من أجل خاطره · وقال انه سيكون فى منتهى الامتنان لو أنها ساعدته · واعتقد أنه كان لطلبه هذا أثر كبير فى الشجاعة التى أظهرتها فيما بعد ·

« تبين لها أنه ثرى · فملابسه الفخمة ، على الأقل تدل على ذلك ، كما أن البيت الفخم يثبت أنه ينفق مبالغ

كبيرة · لم يطلب منها أن تبقى فى لندن ، بل تمنى لو أنها تذهب فى الحال الى بيته الريفى الذى يبعد سبعين ميلا ·

« أخبرها بأنه وصى على ابن وابنة أخيه الصغيرين اللذين مات عنها والداهما فى الهند · وصرح لها بأنـــه ليس من ذلك الصنف من الرجال ، الذى يستطيع أن يكون مسئولا عن أطفال · خاصة وأنه ليس متزوجا وليست لديه خبرة باحتياجاتهم ، ولا الصبر الكافى لذلك · ولاشك أن كل ذلك كان يسبب له ارتباكا كبيرا ، مما جعله يقع فى أخطاء كثيرة · لكنه كان يشعر تجاههما بعطف كبير ويبذل أقصى ما فى وسعه · ولهذا فقد أرسلهما الى بيته الريفى ، لأن الريف كان أنسب مكان لهما · وأرسل معهما أفضل من اســـتطاع الاســـتعانة بهم لرعايتهما ، بالاضافة الى بعض خدمه الخصوصيين · وكان يزور المكان عندما تسمح له الظروف ليرى كيف يسير حالهما ·

« الصعوبة الكبرى كانت تكمن فى عدم وجود أقارب آخرين ، كما أن أعماله الخاصة كانت تستغرق كل وقته · لكن منزله الريفى فى « بلاى » كان أفضل وأصح مكان ،

خاصة مع وجود السيدة « جروز » مديرة البيت هناك ، وهى سيدة ممتازة ، كانت خادمة امه من قبل · بالاضافة الى عدد من الناس يقومون بالمعاونة ، لكن بطبيعة الحال ستكون الفتاة التى ستذهب الى هناك بمثـــابة مربيـــة للأطفال ، هى المشرفة على كل شئون البيت ·

« كان واجبها الأســـاس يكمن فى رعـــاية البنت الصغيرة ·

وكذلك رعاية الصبى الصغير أيام الاجازات · وكان هذا الصبى فى مدرسة نائية منذ عدة شهور ، ولسوف يعود الى البيت خلال أسبوع أو عندما تبدأ الاجـــازة · كان لدى الطفلين مربية قبل ذلك ، لكنها ماتت لسوء الحظ · ولقد كانت تلقى القبول والأحترام حتى وفاتها ، ومن ثم ترتب على ذلك ارسال الصبى مايلز الى مدرسة بعيدة ·

« ومنذ ذلك الحين ، كانت السيدة جروز تبذل غاية جهدهـــا لرعاية الطفلـــة الصـــغيرة فلورا وتعلمها آداب السلوك ·

وكان يوجـــد فى « بـــلاى » كذلك طباخ وخادمـــان

وبســـتانى عجوز ، وحوذى لقيادة العربة ، وكانوا كلهـــم يتمتعون بالثقة والاحترام » ·

عند هذا الحد توقف دوجلاس طويلا ، ايتيح الفرصة لأحدنا أن يسأل · « ماهو سبب موت المربية السابقة » ؟

فأجاب : « سوف يتضح ذلك من خلال القصة » ·

فقلت : « لو اننى كنت مكان صديقتك ، فلابد أن الشك كان ينتابنى ، وكنت سألت السيد عما اذا كانت المربيـــة فى « بلاى » » ·

فأكمل دوجلاس ماكان يدور فى ذهنى : « ··· تخاطر بفقدان حياتها ؟ بالطبع ، كانت تريد أن تعرف ذلك ، وسوف أحكى لكم غدا ماعرفته ولقد انتابتها بعض الشكوك الغظيعة فى ذلك الوقت · كانت شابة صغيرة وقلقة · وكانت تلك أول وظيفة لها · ومسئولياتها لابد أن تكون جسيمة ، ولن يكون لها أى رفيق فى « بلاى » ·

ترددت ثم طلبت عدة أيام لتفكر فى الأمر · ولما كان

المرتب الذى حدد لها أكبر بكثير مما توقعت ، فقد قبلت الوظيفة عندما قابلت السيد فى المرة الثانية » ٠

قلت : « السبب واضح ٠ فلقد وقعت فى حب ذلك الشاب الرائع ، ولم تستطع رفض طلبه » ٠

نهض دوجلاس واتجه ناحية المدفأة ٠ وتوقف لحظة أو لحظتين وظهره لنا ، **وقال :** « لقد رأته مرتين فقط » ٠

ـ « نعم ، لكن ذلك أروع مافى حبها » ٠

فالتفت الى دوجلاس وقال : « هذا صحيح ٠ هذا أروع مافيه ٠ فلقد تقدمت نساء أخريات للوظيفة ورفضنها ، فقد خفن من الظروف المحيطة بالعمل ، الذى بدا بالنسبة لهن كئيبا وغريبا ، هذا بالاضافة الى أن شرطه الأساسى جعلهن يتخوفن ٠ »

ـ « وماذا كان شرطه الأساسى ؟ » ٠

ـ « الا تسبب له أى ازعاج على الاطلاق ٠ فلا ينبغى ان تشكو أبدا ، أو حتى تكتب اليه بخصوص أى شىء ٠ وأن

تواجه كل المشاكل بنفسها ، وتتحمل كل المسئولية تجاه الأطفال و « بلاى » ، تتلقى كل ماتريده من نقود من معاميه ، اى ببساطة تتركه فى حاله ٠ ووعدته أن تفعل كل ذلك ٠ وقالت لى ، انه فى اللحظة التى أمسك فيها يدها ليشكوها ، شعرت بأنها نالت جائزة ٠

سألت احدى السيدات : « لكن هل كان ذلك كل ماحصلت عليه ؟ »

ـ « لأنها لم تره مرة ثانية » ٠

فقالت احدى السيدات : « أوه » ٠

واعتقد ان هذه كانت الكلمة الوحيدة فقط التى كان يمكن أن تصدر عن أى واحد فينا تعليقا على الموضوع حتى الليلة التالية ٠

فى مساء الخميس تجمعنا بعد العشاء حول المدفأة ، واتحنا لدوجلاس فرصة الجلوس على أكثر المقاعد راحة ٠ وكان يضع تحت ذراعه كتابا أحمر غير سميك ، غلافه كالح

ثم بدأ يفتحه ببطء · واستغرقت القصة عدة ليال ، لكن فى اول فرصة سنحت سألته نفس السيدة سؤالا آخر :

ـ « ماعنوان القصة ، يادوجلاس ؟ »

ـ « ليس هناك عنوان » ·

قلت : « أوه ، بل يوجد عنوان ! »

ولم يهتم دوجـــلاس بملاحظتى · وبدأ يقرأ بصـــوت واضح ···

- ١ -

فى اليوم التالى لزيارتى الثانية لذلك البيت فى شارع هارلى عاودتنى كل شكوكى مرة ثانية · واحسست تماما اننى اخطات ·

رحلت من لندن بنفس تلك الحالة الذهنية ، ووصـــلت الى قرية تبعد عن « بلاى » عدة أميال ، بعد ظهر يوم دافىء من شهر يونيو · كانت عربة البيت فى انتظارى · ورفـــع باقى مشوار الرحلة روحى المعنوية ، لأن المنطقة كانت من أجمل مناطق الريف ، واحسست بنوع من الترحيب الحميم هناك · وعندما استدرنا داخل الحديقة ورأيت البيت لأول مرة ، ذابت كل مخاوفى ·

كان بيتا ذا واجهة عريضة مشرقة ، ونوافذ عريضـــة مفتوحة ، وستائر ناصعة البياض ·

وكان اثنان من الخدم يطـــلان من النوافذ ، يرقبان العربة ٠

مازلت اذكر العشب الأخضر ، ومئات الزهور ، وضجة عجلات العربة فوق الممـــر وذلك الهدوء الذى يتصف بـــه المكان ٠

كان المشهد عظيما ولايقارن ببيتنا الفقير المتواضع ٠ وعندما توقفت العربة ظهرت عند الباب امراة بثنوشة تمسك فى يدها طفلة صغيرة ٠ قامت بتحيتى كما لو كنت سيدتها او زائرا مهما ٠

عندما كنت فى شارع هارلى اخذت فكرة مختلفة تماما عن « بلاى » ، أما الآن فقد بدت لى صورة ذلك الرجل أروع مما كنت أظن أول مرة ٠

وحقيقة فلقد اســتمتعت بالســـاعات التى تلت ذلك ٠ ففلورا الصغيرة كانت بنتا مدهشة ، وشعرت بأننى محظوظة لكى تكون تلميذة لى ٠٠ كانت اجمل طفلة رايتها فى حياتى واندهشت بعد ذلك عن السبب الذى جعل السيد لايخبرنى بذلك ٠

ورايت البيت لأول مرة ٠٠

ومن فرط سعادتى لم استطع النوم جيدا تلك الليلة ·

كانت حجرة نومى كبيرة ، ومن احسن الحجرات فى البيت · والسرير نفسه كان من ذلك النـــوع الذى يمكن للانسان ان يراه فى القلاع · ولأول مرة فى حياتى استطعت أن ارى نفسى من اخمص قدمى الى قمة راسى فى مـــرآة كبيرة · لقد كانت كـل هذه الأشـــياء ـ غير متوقعة على الاطلاق ·· مثلما لم اكن اتوقع جمال البنت الصغيرة ·

وكان من غير المتوقع ايضا ان اتوافق مع الســـيدة جروز منذ الوهلة الأولى · فلقد كان لدى بعض القلق تجاه علاقتى بمديرة البيت ، لكن لم يكن ينبغى ان اشعر هكذا ·

كانت امرأة كبيرة ، بسيطة ، واضحة ، نظيفة وأمينة ·

وبدت فى منتهى الســـعادة لرؤيتى · وحقيقة ، وبعد مضى نصف ساعة ، احسست انها تحاول ان تخفى مدى سعادتها لرؤيتى ، فتساءلت لماذا ·

اما بالنسبة للطفلة الصغيرة فلم اشعر باى نوع من القلق تجاهها ، فلقد كان مما يســـعدنى حقا ، ان اقـــوم

بالتدريس لها · فكرت فيها كثيرا فى تلك الليلة الأولى ، وهذا ما جعلنى متيقظة بالاضافة الى اضـــطرابى · كنت انهض عدة مرات واتجول فى انحاء الحجرة واتطلع الى الأثاث والستائر والبوادر الأخرى التى تدل على حســـن حظى · رأيت تباشير الصباح وسمعت تغاريد الطيور الأولى من خلال نافذتى المفتوحة · وقبل ذلك بفترة سمعت أصواتا اخرى صادرة من داخل البيت ، واصغيت مرة أخرى عسى ان تتكرر مرة ثانية · وذات مرة تعرفت على الصوت ، فقد كان صرخة طفل واهنة آتية من بعيد · وبعد ذلك سمعت صوت خطوات خفيفة فى الروضة الموجودة خارج غرفتى · لكن هذه الخزعبلات لم تكن بالدرجة التى يمكن ان تزعجنى فى ذلك الوقت · وانا أذكرها فقط الآن لأن لها ارتباطا بما حدث بعد ذلك ·

لم يكن واجبى فى « بلاى » ينحصر فى تعليم فلورا ، بل فى العناية بها كلية · كنت غريبة فى هذا البيت ، وكانت الطفلة قلقة بعض الشىء بطبيعة الحال · لكن السيدة جروز كانت قد اتفقت معى ، على ان تنام فلورا معى فى حجرتى

بعد هذه الليلة الأولى : فاحسست يقينا انها سرعان ما تتوافق معى .

اعجبت بسلوك الطفلة الصغيرة اثناء العشاء ، ولم تستطع مديرة البيت أن تخفى سعادتها بذلك . وتحدثنا بطبيعة الحال عن الطفلة بطريق غير مباشر فى وجودها ، لكننا كنا نفهم بعضنا تماما .

ـ وتلميذى الآخر .. هل يبدو مثلها ؟ أهو أيضا ...

ـ أوه ، ياآنسة ، فى الحقيقة هو كذلك . لو انك تظنين خيرا فى هذه البنت ...

ثم توقفت السيدة جروز هناك وفى يدها طبق وهى تبتسم :

ـ نعم ، لو اننى أفعل ...

ـ سيتعاطف معك السيد الصغير !

ـ حسن ، ولسوء الحظ سرعان ما اتعاطف بسرعة . فلقد حدث لى ذلك فى لندن .

ـ تقصدين فى شارع هارلى ، ياآنسة ؟

ـ نعم !

ـ أوه ياآنسة ، لست أنت أول شخص يشعر بذلك نحوه ولن تكونى الأخيرة !

ضحكت وقلت : أوه ، أنا أعرف ذلك جيدا .. متى سيعود الصبى الصغير الى البيت ؟

ـ بعد باكر . ستقابله العربة فى القرية .

واتفقنا على ضرورة ذهابى مع فلورا لمقابلة شقيقها . وكان ذلك هو ثانى شىء اتفق فيه بسهولة مع السيدة جروز . واعتقد أن ذلك ساعدنا نحن الاثنين .

كانت خطتى فى اليوم التالى أن أعطى الطفلة فرصة لتعرفنى افضل . فطلبت منها اذا كانت ترغب ، وكنوع من الجميل بالنسبة لى ، أن ترينى بنفسها البيت وما حوله . وكانت سعادتها بالغة بذلك .

فارتنى البيت مكانا ومكانا ، وحجرة حجرة ، حتى الأماكن المختفية منه ، وكنا اثناء ذلك نتحدث حديثا وديا .

وكانت النتيجة اننا اصبحنا اصدقاء بعد مضى نصف ساعة ·

خلال جولتنا فى المكان لفت نظرى ثقتها فى نفسها وشجاعتها · فاحيانا كنت اتردد فى الدخول عند مدخل احدى الغرف الخالية أو عند ممر مظلم ، اما هى فلم تكن تتردد ابدا · حتى عندما وصلنا الى قمة البرج القديم المربع الذى ارعبنى ، كان صوتها مجلجلا وهى تقودنى ·

منذ اليوم الذى غادرت فيه « بلاى » لم أرجع اليه ابدا · كنت شابة آنذاك ، وخبرتى قليلة بالحياة · فبدا لى البيت آنذاك ضخما ورائعا وذا اهمية ، فى حين انه يبدو لى الآن بيتا ريفيا عاديا · لكن عندما كانت مرشدتى تمضى أمامى راقصة فى أرجاء البيت ورددهاته ، فقد خيل لى ساعتها انه قلعة رائعة · كان الأمر بمثابة رواية ســقطت نائمة وانا اقراها ·

وبعد الغداء تبدلت وجهة نظرى بالنسبة للبيت · كان « بلاى » بيتا كبيرا وغير جميل ، لكنه مريح · كانه بمثابة سفينة ضخمة عليها نصف دستة من المسافرين ، والغريب فى الأمر اننى قائدة هذه السفينة !

- ٢ -

فى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم وصل البريد · كانت هناك ورقة صغيرة من السيد تحوى مظروفا مغلقا موجها اليه على عنوانه · كانت الورقــة تقول : « هذا الخطاب المغلق من ناظر مدرسة « مايلز » ، أرجو أن تقرأيه، وتتفاهمى معه · ولا تخبرينى بأى شىء · لا اريد أن اسمع كلمة واحدة ! » ·

لم افتح الخطاب الا حين ذهبت الى الفراش · وكم تمنيت ان كنت تركته الى الصباح ، لأنه أصابنى بالأرق ليلة اخرى · بعد ساعة من تناول الافطار قررت أن اتحدث مع السيدة جروز بخصوص الخطاب ·

قلت : « لقد طرد مايلز من المدرسة ، ما رأيك فى ذلك ؟

لاحظت تعبير وجهها على الفور · فربما لم تزعجها هذه الأخبار · ثم بدا عليها كما لو انها لم تفهم الأمر ، **فسألت :** « لكن الا يغادر الأولاد المدرسة عند بدء الأجازة ؟

ـ أجل ·· أيام الأجازات فقط · لكن مايلز لن يعود الى المدرسة على الاطلاق ، لقد فصل !

احمر وجهها وقالت : « الن يأخذوه ثانية ؟ »

ـ يرفضون رفضا تاما ·

امتلأت عيناها بالدموع **وقالت :** « ما الذى فعله »

ناولتها الخطاب · لم تأخذه منى ووضعت يدها خلف ظهرها وهزت راسها · وقالت :

ـ هذه المسائل ليست من اختصاصى يا آنسة !

عرفت عندئذ انها لاتستطيع القراءة · واحمر وجهى بسبب غلطتى ، وفتحت الخطاب لأقراه لها · لكننى لم استطع فعل ذلك · وكل ما استطعت قوله : « انا اتساءل عما اذا كان الأمر سيئا » ·

كانت الدموع ماتزال فى عينيها ، **وقالت** « هل الخطاب يقول ذلك ياآنسة ؟ »

ـ « لاتوجد تفاصيل · فالناظر بكل بساطة يأسف لعدم امكان عودة مايلز الى المدرسة · وهذا يحتمل معنى واحدا ، انه ولد مؤذى بالنسبة للاولاد الآخرين » ·

التفتت الى فى غضب **وقالت :** « سيدى مايلز مؤذى بالنسبة للاولاد الآخرين ؟ !

لم اكن قد رأيت الولد من قبل · لكن كان هناك فيض من الثقة فى كلماتها حتى اننى صدقتها · **فقلت :** « أجل ، أجل · انا لا أستطيع ادراك الموضوع على الاطلاق »

ـ بالطبع ، ان قول كلام مثل هذا فى منتهى القسوة والظلم ·· انتظرى حتى ترينه يا آنسة ·· ثم صدقى الأمر اذا استطعت » ·

احسست لحظتها بفضول شديد لرؤيته · ومن المحتمل ان السيدة جروز أدركت ذلك ، **فواصلت كلامها على الفور : هل** تصدقين مثل هذا الكلام عن فلورا ؟ تطلعنى اليها فقط ! »

قبل ذلك بعشر دقائق كنت قد تركت فلورا فى حجرة الدراسة ، مشغولة بواجب الكتابة الذى اعطيتـــه لها · وعندما استدرت فى تلك اللحظة وجدتها تقف بباب الحجرة المفتوح ، فى مواجهتنا · وبدا فى عينيها كانهـــا تقول : « ظننت انه من اللطيف ان اتبعك ، أما الواجب فبامكانى أن اقوم به فيما بعد » ·

فى نفس ذلك اليوم أخذت اتحين فرصة للحديث مع السيدة جروز مرة ثانية · لكن كان على الانتظار حتى وقت المساء ، حين تبين لى أنها كانت تحاول أن تتجنبنى · وحدث ان قابلتها على السلم ·

سألتها : « هل صحيح انك لم تكونى تعرفين ابدا ان مايلز ولد سيىء » ·

ـ اوه ، كلا ، يا آنسة · لا أستطيع ادعاء ذلك ·

ـ اذن فانت تعرفينه ···

ـ اجل أعرفه تماما ، يا الهى !

ـ تعنين انه لم يكن ابدا ولدا سيئا ··

ـ لم يولد له مثيل ابدا ، يا آنسة !

وافقتها على ذلك ، **وقلت :** « لكن يعجبك منهما أحيانا بعض الشقاوة ، اليس كذلك ؟ ولم أعطها فرصة للاجابـة فواصلت ؟ هكذا افعل أنا ؟ ! لكن ليس الى حد الاساءة الى الاطفال الآخرين » ·

عند ذلك **ضحكت وقالت :** « هل انت خائفة من أن يكون له تأثير سيىء عليك ؟ » ·

وجهت الى هذا السؤال بنوع من الجسارة حتى اننى ضحكت ·

وفى اليوم التالى وقبل أن اذهب لمقابلة مايلز كان لنا حديث هادىء طويل ·

قلت : « بالنسبة للمربية التى كانت هنا قبلى ·· ماذا كان شأنها ؟ »

ـ المربية السابقة ؟ كانت شابة لطيفة ·· فى مثـــل جمالك وشبابك تقريبا ، يا آنسة ·

فقلت ضاحكة : « اه ، اتمنى ان يكون جمالها وشبابها

قد ساعدها ، اذ يبدو وأنه يعجبه فينا ، ان نكون فتيات جميلات ! »

فوافقتنى قائلة : « أوه ، ذلك أسلوبه بالفعل · هو يفعل ذلك ·

لكن عندما قالت ذلك بدا أنها ندمت على ما قالته ··

فاضافت بسرعة : « أعنى ذلك هو أسلوبه ·· أسلوب السيد » ·

فى اللحظة التالية لم أنتبه الى أن ما قالته مصادفة كان أكثر مما كانت تريد أن تقوله · فسألتها فقط عما كنت أريد أن أعرفه · « هل كان بينها وبين مايلز أى نوع من المتاعب »

ـ لم تقل لى مطلقا ·

ـ هل كانت انسانة حريصة ؟

وبدت السيدة جروز وكأنها تستحث ضميرها ثم **قالت :** « أجل ·· بخصوص بعض الأشياء !

ـ لكن ليس بخصوص كل شىء ؟

فترددت مرة ثانية : « هيه ، ياآنسة ·· لقد مضت لحال سبيلها · ولا أريد أن أقول أى شىء بخصوصها » ·

ـ أنا حقيقة أقدر مشاعرك · لكن لايفيدك أن تخبرينى عن شىء ·· هل ماتت هنا فى « بلاى » ؟!

ـ كلا · رحلت عن هنا ·

أحسست بأن لى الحق فى معرفة ماحدث للمربية السابقة · أعرف عما اذا كان المكان أو العمل قد تسبب فى مرضها ، اذ ربما يحدث لى ماحدث لها · « هل تعنين انها مرضت هنا وكان ينبغى ترحيلها الى بلدها ؟ »

ـ لم تصب بأى مرض هنا ، على قدر ما رأيت ، فى هذا البيت · لقد رحلت عنا فى نهاية العام لتذهب الى بلدها فى اجازة قصيرة · ولم يكن فى ذلك شىء غير عادى وكان لفلورا ممرضة خاصة فى ذلك الوقت ، فقامت برعاية الطفلين فترة غياب المربية · لكن الفتاة لم تعد أبدا · وفى الوقت الذى كنت أتوقع فيه حضورها وصل خطاب من سيدى يخبرنى فيه انها ماتت !

ـ وما السبب فى موتها ؟

ـ لم يخبرنى به اطلاقا ! ·· لكن عفوا ، يا آنسة ، فلابد أن أعود الى عملى الآن !

- ٣ -

عندما وصلت الى فندق القريـــة ، كان مايلز ينتظر هناك · كانت تبدو عليه مظاهر النضارة والشرف ، وذلك ما اعجبت به كثيرا جدا · تطلعت اليه فوجدته فى مثل جمال شقيقته · لكن عندما تذكرت خطاب ناظر المدرسة أصبت بحيرة ، بل حتى بشىء من الاهانة · لقد كانت السيدة جروز على صواب ، فالولد لايستطيع ان يرتكب اخطاء جسيمة · اذ يبدو عليه أنه لايعرف شيئا سوى الحب ·

وبأسرع مايمكن رتبت لقاء خاصـــا مع مديرة البيت لأدلى لها برأيى قلت : « انا متأكدة ان الأمر كله هراء ! » ·

ـ تقصدين هذه التهمة القاسية ؟ !

ـ أجل · لابد انهم اخطأوا ·

ـ اذن ماذا ستفعلين ؟ هل سترديـن على الخطاب ؟ !

قلت لها بعد أن حسمت أمرى : « كلا · لن افعل أى شيء على الاطلاق » ·

ـ لكن هل ستجبرين عمه ؟

ـ كلا · فهو لايريد سماع كلمة !

ـ وماذا عن مايلز نفسه ؟

ـ لاينبغى أن اخبره بأى شيء هو أيضا ·

ـ اذن ساقف الى جانبك ، يا آنسة · سـوف نتدبر الأمر معا !

ـ عظيم ! وتصافحنا بالايدى لتأكيد هذا الاتفاق ·

لم تكن المسألة بمثل هذه السهولة كما تصورت · فقد شعرت بنوع من الشفقة الكبيرة تجاه الطفلين مثل عمهما فى شارع هارلى ـ وخاصة بالنسبة للولد · لقد احببتهما هما الاثنين جدا ، وربما كان لذلك تاثيره فى حكمى عليهما ان معرفة مايلز بالحياة كانت فى بدايتها ، ولم اكن كفؤا

تماما لكى أمده بها · ولا أستطيع تذكر الخطط التى وضعتها لدراسته فى نهاية الاجازة · كلنا كان يرى أنه لابد وأن توجد دروس ، وأنا أشعر الآن أننى كنت الشخص الوحيد الذى تعلم خلال تلك الأسابيع !

ولأول مرة فى حياتى عرفت اللهو ، بل حتى كيف الهو ولا افكر فى المستقبل · لم اكن أعرف من قبل مثل هذه الحرية والرحابة ، كما لم يكن لدى الوقت لسماع موسيقى الصيف ومعرفة كل اسرار الطبيعة ·

غير أننى كنت أحظى باحترام كبير ورعاية حسنة ·· كان الطفلان رائعين ··

ولم تصدر عن الطفلين أى متاعب على الاطلاق ·

وكان اكثر ما احببت فيهما فى ذلك الوقت ، هو رقتهما وحسن اصغائهما · كانت صحتهما على مايرام تماما وكذلك فى اكمل سعادة · ويقومان بفعل اى شيء اطلبه منهما · ومازلت اذكر تلك الأسابيع وكأنها فترة من الهدوء والسلام العظيم · لكننى الآن تأكدت أن ذلك الهدوء كان بمثابة الترقب الذى يستعد به الحيوان للقفز ·

كانت أيام الصيف طويلة · وعندما كان تلميذاى ينتهيان من تناول العشاء والذهاب الى الفراش ، تعودت أن استمتع لمدة ساعة بمفردى · كنت اقضيها غالبا فى التمشى فى ارجاء البيت او فى الحديقة ، مستمتعة بجمال البيت والحدائق · فى تلك اللحظات كان يسعدنى ايضا أن افكر فى السيد الذى كان يقطن فى شارع هارلى · لقد كنت انفذ كل ماطلب منى أن افعله ، وتمنيت أن اكون قد قمت به على اكمل وجه · ودائما ما كنت اتخيله يظهر فجاة فى احد اركان البيت أو احد الممرات ، يقف قبالتى بابتسامته المشرقة ويثنى على عملى · كل ماكنت اتمناه فقط هو ان يعرف ، وافضل طريقة للتاكد من انه قد عرف ، هى حضوره الى هنا ، ورؤية ذلك منعكسا على وجهه ·

وفى نهاية يوم من تلك الايام الطويلة ، وفى احدى هذه المرات كان وجهه يلوح فى مخيلتى هكذا بالضبط فخرجت من بين مجموعة من الأشجار واصبح البيت كله فى مواجهة بصرى · وقفت ساكنة بلا حراك فقد اعتقدت بنوع من الدهشة أن خيالاتى أصبحت حقيقة · كان يقف هناك ! ليس

فى الممر ، بل هناك على قمة البرج المربع الذى تسلقته مع فلورا ·

وأعقبت تلك الدهشة دهشة ثانية · فلم يكن الرجل الذى رايته هو الشخص الذى فى مخيلتى · كان غريبا عنى تماما · وفى اللحظة التالية ، اكتشفت ان الحديقة أصبحت هادئة جدا فجاة · سكنت رياح المساء ، وتوقفت الطيور عن التغريد ، لكن لم يكن هناك تغير آخر فى مظاهر الطبيعة فالشمس الذهبية الغاربة مازالت موجودة فى السماء ، والصفاء مازال موجودا فى الجو ، والرجل الذى كان يتطلع الى كانت معالمه واضحة وكانه صورة فى اطار ·

استرجعت بسرعة ملامح الأشخاص الذين أعرفهم ، لكنه لم يكن من بينهم · تطلع كل منا الى الآخر عبر اتساع الحديقة . ولفترة تكفى لأسال نفسى عدة مرات عمن يكون · لكن لم يكن فى استطاعتى أن أعرف ، وأخذت حيرتى من فشلى هذا تغدو أقوى كل لحظة ·

فى مثل هذه الأحوال ، فان السؤال المهم الذى يعقب وقوعها ، هو كم استغرق هذا الأمر · وبينما كنت أراقب

هذا الشخص كانت العديد من أسماء الناس الذين أعرفهم تجارا او خدما تمر عبر رأسى · وظل الأمر لفترة حتى وصلت الى حقيقة انه ربما يكون شخصا من أهل البيت لم أره على الأطلاق ·

وتساءلت عندئذ كم مضى من الوقت على وجوده معنا ضايقتنى تلك الفكرة ، على ما اذكر ، لأننى كنت المسئولة عن « بلاى » ·· ولابد أن أكون قد قابلت كل فرد فيه ، وتيقنت أنه كان ينظر الى ، كما لو انه كان يسأل نفسه بالضبط نفس الأسئلة · ولو اننا كنا قريبين من بعضنا ، فقد كان من الممكن أن تكون صيحة أو نداء هى النتيجة المنطقية لنظراتنا الطويلة ·

كان يقف فى أحد زوايا البرج ، لكن بعد دقيقة غير مكانه ببطء · ثم اتجه ناحية الركن الآخر وهو مازال ينظر الى ، لكن لفترة قصيرة · وبينما كان يبتعد كانت عيناه لاتزالان مثبتتان على بشده · وابتعد ، كان ذلك كل ما عرفته !

- ٤ -

كانت أول فكرة خطرت على بالى ، انه ربما يكون هناك سر فى « بلاى » ، من المحتمل أن العائلة لديها قريب مجنون تخجل منه ، واحتجزته هناك فى السر ، كانه سجين · كانت تلك هى احدى الأفكار التى انتابتنى ولم أعرف كم من الوقت وقفت هناك وأنا فى منتهى الضيق بسبب الفضول والخوف · وعندما عدت الى البيت كان الظلام قد حل تقريبا ·

كانت السيدة جروز هناك فى استقبالى ، وكان يبدو على وجهها شىء من الجزع ،فعرفت انها افتقدتنى · وعندما زال جزعها ، عاد اليها تعبير وجهها العادى الطيب الصادق ، وحينما تطلعت اليها حينئذ ، تأكدت انها لم تكتشف شيئا مما قد رأيته · فترددت وبعد لحظة قررت ألا اخبرها ·

ابديت بعض الاعذار لتاخيرى بالخارج وتوجهت الى غرفتى ٠

كانت حجرتى هى المكان الآمن الوحيد الذى استطعت ان افكر فيها بصفاء لعدة ايام ٠ لم اكن خائفة بعد ، لكن الذى كان يرهقنى هو التفكير فى اننى ربما اصبح خائفة ٠ بحثت عن بعض التفسيرات لهذا الحـــادث ، كما اعطيت اهتماما اكثر للأشياء العادية التى تجرى فى البيت ٠ ذلك ان الصدمة التى تعرضت لها ارهقت كل حواسى ٠

وبعد انقضاء ثلاثة ايام تاكدت من عدم وجود اقرباء يعيشون فى السر باعلى البرج ٠ ولم استطع ان اصدق ان ماتعرضت له قد يكون نكتة عملية رتبها الأطفال او الخدم ٠ واحسست يقينا انه ليس هناك احد اخر فى البيت عـرف اى شىء عن الزائر الغريب ٠

كان هناك احتمال واحد فقط يمكن حدوثه ؟ وهو ان شخصا ما دخل البيت دون ان يراه احد ٠ ربما يكون سائحا مغرما بالبيوت القديمة ، دخل الى البيت وصعد الى البرج ، واستمتع بالمنظر ثم انصرف فى هدوء ٠ لكن ان يفعل ذلك

فتلك جراة منه ، والأكثر جراة فى الأمر نظرته الطويلـة القاسية الى ٠ على أى الأحوال فلقد انتهى الموضوع ولن يعود الى هنا مرة ثانية ٠

قررت أن انسى متاعبى بأن اعطى كل وقتى وفكـــرى لعملى ٠ ولم يكن ذلك صعبا ٠ فقد كان مايلز وفلورا يمثلان بالنسبة لى سعادة وبهجة عظيمة ٠ خاصة وان عمل المربية عادة مايكون عملا مملا ، لكنى احسست بنوع من الرضا التام فيه ٠

كان الطفلان يهبانى متعة فى كل شىء ، وفى كل يوم كنت اكتشف أشياء جديدة ٠ لكن ذات يوم لم اكتشف اى شىء على الاطلاق ؟ لأن مايلز لم يخبرنى بأى شـــىء عن مدرسته ٠ ربما انه حل اللغز دون أن يقول كلمة ٠ كان سلوكه ممتازا ، ولم استطع حقيقة أن اصدق ببساطة أن ثمة طفلا مثله يستطيع فعل أشياء سيئة ٠

كنت متاكدة من ذلك تماما لأنه لم يفعل اى شىء ابدا يستحق عليه العقاب ٠ ولو انه كان شريرا ، فلا بد انه

كان سيعانى من ذلك ، ولكنت رأيت بوادر الم أو خجـــل على وجهه · لكننى لم أجد شيئا سوى السعادة · كان هناك نوع من السحر فى هذين الطفلين جعلنى أنســـى شكوكى وآلامى ·

مازلت اذكر يوم الأحد الثانى من شهر يوليو ، فقد كان صباحه ممطرا ولم نستطع الذهاب الى الكنيسة · واتفقت مع السيدة جروز أن نذهب سويا فى المساء اذا توقف المطر ولحسن الحظ توقف المطر ، فهيأت نفسى لنذهب الى القرية وعند نزولى على السلم تذكرت حقيبتى التى تركتهـا فى حجرة الطعام وقت تناولنا الشاى · فذهبت لأحضرها · كانت خطوه واحدة داخل الغرفة فيها الكفاية ، فلقد رأيت حقيبتى فوق أحد المقاعد بالقرب من النافذة العريضة ، التى كانت مغلقة · ورأيت كذلك شخصا يقف خارج النافذة ويطل مباشرة الى الداخل ، وتعرفت عليه فى الحال · كان نفس الرجل الذى ظهر لى من قبل فوق البرج !

لم تكن صورته أوضح بالنسبة لى ، عكس ماحدث فى المرة الأولى ، لكنه كان بالتأكيد أكثر قربا منى · جعلنى

وتعرفت عليه فى الحال ·· !

منظره أكتم انفاسى واصاب ببرودة · كان وجهه ملتصقا بالزجاج · نظر الى ، وعـرفت انه تعـــرف على · لكننى شعرت كما لو اننى كنت رايته منذ اعوام واننى اعرفه منذ فترة طويلة · وحدث شىء هذه المرة لم يحدث من قبل ؟ وهو أن عينيه ابتعدتا عنى للحظات قليلة ، واخذتا تتطلعان فى انحاء الغرفة ·

وتاكدت فى التو انه يبحث عن شخص آخر ، وانه لم يحضر من أجلى ·

وكان لمعرفة ذلك اثر غريب على · اذ نتج عنه احساس بالواجب والشجاعة · فاندفعت خارجة من الحجـــرة الى الصالة ثم الى الخارج · ولففت حول ناصية البيت ، حتى وصلت فى مواجهة نافذة حجرة الطعام مباشرة من الخارج لكن الزائر كان قد اختفى · توقفت ، وشعرت بنـــوع من الارتياح نتيجة لذلك ، ثم انتظرت لأعطيه فرصـة للظهور مرة ثانية ·

كان الممر والحديقة المجاورة ، والفناء الخلفى ، كلها خالية · وكانت هناك أعشاب طويلة وأشجار ضخمة ، لكننى

كنت على يقين من أنه لايختفى بداخلها فهو اما أن يكون موجودا هناك او غير موجود ، وبالتالى فهو غير موجود ، اذا لم استطع رؤيته ، وقفت حيث كان واقفا · واتجهت ناحية النافذة وضغطت وجهى على الزجاج كما فعل · فى نفس اللحظة دخلت السيدة جروز الى حجرة الطعـام من الصالة · رانتى كما رأيت انا الزائر الغريب ، توقفت كما توقفت انا · وتسببت لها فى صدمة بنفس القدر الذى حدث لى · ابيض لونها وفعلت نفس الحركة التى فعلتها انا ، اندفعت خارج الحجرة · كنت أعرف انها لابد ان تلتف وتاتى الى الخارج ، وبينما كنت اقف منتظرة اياها تساءلت لماذا ارتعبت وابيض لونها ؟ !

- ٥ -

كانت انفاسها متقطعة عندما وصلت الى عبر الناصية وقالت : « ما الأمر ٠٠ »

لم اقل شيئا حتى أصبحت الى جوارى فسألتها : « كيف يبدو منظرى ؟ »

ـ يبدو مرعبا ٠ فلونك ابيض مثل ملاءة السرير !

كان لابد أن أقول لها الآن ٠ فلم أعد أستطيع الاحتفاظ بسر هذه المرة الثانية ٠ « لقد حضرت الى بالطبع لتذهب الى الكنيسة ، لكننى لا أستطيع الذهاب !

ـ هل حدث أى شىء ؟ !

ـ نعم ٠٠ سأحكى لك عنه ٠ هل بدا منظرى غريبا جدا ؟ !

ـ من خلال النافذة ؟ أجل ، مرعب !

قلت : « فعلا ، فلقد كنت مرتعبة · »

واوضحت لى عينا السيدة جروز بوضوح انها لاتريد ان تبدو خائفة · فامسكت بيدى وكانت على استعداد تـام لمشاركتى فى ازمتى حينذاك · **وقلت :**

ـ لقد ابيض لونك عندما رايتنى خلال النافذة ـ أمـا ما رايته أنا ـ فكان أسوأ من ذلك بكثير !!

فسالتنى : « ماذا رايت ؟ »

ـ رايت رجلا غريب الشكل يتطلع الى حجرة الطعام !

ـ أى رجل ؟ !

ـ ليست لدى أى فكرة ·

تطلعت السيدة جروز حولها **وقالـت :** « اذن الى اين ذهب ؟ » ·

ـ لا اعرف ذلك ايضا ·

ـ هل رايته من قبل ؟ !

ـ نعم ·· مرة ·· كان فوق البرج حينذاك !

ـ هل تعنين أنه غريب ؟ !

ـ أوه ، هو كذلك بالفعل !

ـ لكنك لم تخبرينى من قبل ·

ـ كلا · كان لدى مبرراتى · لكنك تبينت الأمر الآن !

اتسعت عيناها بشكل كبير : « أنا لم اتبين اى شىء »

ثم قالت ببساطة : « هل أنت متأكدة من انك لم تتخيلى ذلك »

ـ متأكدة تماما !

ـ وانك رايته مرة من قبل فوق البرج ؟ !

ـ رايته فوق البرج ، وخارج هذه النافذة الآن !

ـ ماذا كان يفعل فوق البرج ؟

ـ كان واقفا هناك ولاكثر ، ويتطلع الى

ـ فكرت لدقيقة : « اكان سيدا ام خادما ؟»

لم استطع الاجابة على الفور : « لم يكن سيدا ! »

ـ اكان واحدا من اهل القرية ؟

ـ كلا ليس من اهل القرية ـ لا استطيع وصفه ، لكنى متأكدة من ذلك ·

ـ حسن ، اذا لم يكن سيدا ولا واحدا من اهل القرية ، فماذا يمكن ان يكون ؟ !

ـ انه ·· اوه فليساعدنى الله ، انا لا اعرف من يكون

تطلعت السيدة جروز حولها مرة ثانيـــة · وتطلعت عبر الحديقة والفناء ثم التفتت الى وقالت : « كان من المفروض ان نكون فى الكنيسة الآن » ·

ـ انا اسفة ، لن استطيع الذهاب معك !

ـ ولم لا ؟ ربما يكون فى ذلك مصلحة لك ؟

ـ لكن لن يكون ذلك فى مصلحتهما ·

وتطلعت تجاه حجرة الأطفال ··

ـ تقصدين الطفلين ؟

ـ نعم · لا استطيع تركهما الآن · انا خائفة منه !

عندما قلت ذلك تغير تعبير وجهها · اذ يبدو ان فكرة

جديدة طرأت على ذهنها ، فكرة لم أوحى انا بها اليها · وبدأت تسألنى : « متى رأيته ـ فوق البرج ؟ »

ـ منذ ثلاثة اسابيع مضت ، فى نفس هذا الوقت من النهار ·

فقالت السيدة جروز : هل كان الجو ظلاما تقريبا ؟

ـ أوه ، كلا · كان الوقت مساء وكان هناك بعض الضوء ·· ورأيته بنفس امكانية رؤيتك الآن !

ـ اذن كيف امكنه ان يدخل ؟

ضحكت : « بل كيف امكنه ان يخرج ؟ لم تكن لدى فرصة لسؤاله ·· وهذا المساء لم تكن لديه القدرة على الدخول » ·

ـ هل كان يتطلع فقط خلال النافذة ؟

ـ أجل · واتمنى الا يفعل اكثر من ذلك »

واستدارت لتنصرف · فانتظرت لحظة ثم قلت : اذهبى انت الى الكنيسة · مع السلامة ينبغى ان اترقب قدومه !!

تطلعت الى عيني ثانية وقالت : « هل أنت خائفة على الأطفال ؟ »

ـ وأنت ، الست كذلك ؟

لم تجب وذهبت تجاه النافذة وضغطت وجهها على الزجـــاج ، **فواصلت كلامي** : « أنت ترين الآن كيف كان بامكانه أن يرى » ٠

لم تتحرك وقالت : كـم من الوقت بقـى واقفا هنا ؟

ـ حتى خرجت ، خرجت لأقابله !

عندئذ استدارت السيدة جروز **وقالت** : « أما أنا فلـم أستطع الخروج » ٠

ضحكت ثانية : « لم اكن ارغب فى الخـــروج كذلك ٠ لكنى خرجت ، لأننى اعتقدت أن ذلك من واجبى »

فردت قائلة : « وكذلك من واجبى ايضا ـ قولى لى ، ما شكله ؟ »

ـ شكله ٠٠ أوه ٠٠ لا أدرى ! لايشبه أحدا !

فرددت : لايشبه أحدا ؟ !

ـ لم يكن يرتدى قبعة ٠٠

وفجأة اصبح وجهها جـــادا جدا ، **وبســـرعة اكملت الصورة** : شـعره أحمر ، أحمر جـــدا ، مجعد ، ووجهه مستطيل شاحب ٠ ملامح وجهه واضحة مباشرة ٠ حاجباه اثقل من شعره ويتحركان الى اعلى واسفل كثيرا ٠٠ عيناه غريبتان ، حادتان ، صغيرتان لكنهما ثاقبتان ٠٠ فمه واسع وشفتاه غليظتان ، طويل ٠٠ مفرود الجسم ، نشط لكنه من المستحيل ولا يمكن ! أن يكون سيدا ؟ !

عندما كنت اتكلم شحب وجه رفيقتى وجحظت عيناها **وانفغر فاها وصاحت** : « سيد ، سيد ، أيكون هو ؟ » ٠

فسألتها : « اذن ، هل تعرفينه ؟ »

ـ لكن هل كان مظهره محترما ؟

ـ أوه جدا !

فواصلت : « وماذا كان يرتدى ؟ »

فاجبت : كان يرتدى ملابس شخص آخر · ملابس محترمة ، لكنها لاتخصه !

ضحكت بهستيرية : انها ملابس سيدى !

ـ اذن ، فانت تعرفينه !

فصاحت : « انه كوينت !! »

ـ كوينت ؟!

ـ بيتر كوينت ·· خادم السيد ، خادمه الخصوصى عندما كان هنا ·

ـ عندما كان السيد هنا ؟

ـ لم يكن يرتدى قبعة أبدا ، لكنه بالفعل كان يرتدى ·؟ · حسن ، لقد فقد السيد معطفين أو ثلاثة من معاطفه ! كان مما الاثنان هنا العام الماضى · ثم رحل السيد ·· وبقى كوينت وحيدا ·

ـ تعنين أنه عاش هنا وحده ؟

ـ كلا · كان وحيدا معنا · كان مسئولا عن «بلاى » ··

ـ وماذا حدث له ؟

ترددت لفترة طويلة · ثم **قالت :** « لقد ذهب أيضا » ·

سألتها : « ذهب الى أين ؟ »

واصبح تعبير وجهها غريبا فى تلك اللحظة **وقالت :** « يعلم الله ، الى أين ذهب ! لقد مات ! »

صحت : « مات ؟ !

تحركت قليلا ثم وقفت امامى بثبات · **وقالت فى نبرة كلها تعجب :** « أجل · مات مستر كوينت !! » ·

- ٦ -

لم نذهب الى الكنيسة ذلك المساء · وبدلا من ذلك ذهبنا الى حجرة الدراسة وأغلقنا على انفسنا وقمنا ببعض الصلوات والدعوات ·

بعد ذلك ناقشنا مشكلتنا · أو بالأحرى مشكلتى أنا أكثر من السيدة جروز · فهى شخصيا لم تر أى شىء ولا حتى مجرد شبح زائف ولا تعتقد أيضا أن هناك أحدا آخر فى البيت قد رأى ذلك · واصبح لامفر من قبول أن شبح كوينت قد ظهر لى فقط · فقد كان وصفى له صادقا تماما فلـــم تستطع أن تشكك فى كلماتى · ونتيجة لذلك فقد أظهـرت نحوى رقة وعطفا لايمكن أن انساهما أبدا ·

وقررنا عندئذ أن نتحمل عبء هذا الموضوع سويا ·

وكنت على علم بأننى ساقاسى كثيرا لمصلحة الأطفال · لابد أن بى شيئا مختلفا ، فقد كنت استثناء ضمن ثمانية او تسعة افراد يقيمون فى البيت · لكننى حصلت على نوع من الراحة لمعرفة أنه فى استطاعتى التغلب على ذلك ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدا كنت أحكى كل شىء للسيدة جروز · واستطيع أن أتذكر بوضوح تلك القوة المفاجئة التى حطت على قبل أن نفترق للنوم ·· فلقد رويت لها ماحدث عدة مـــرات وبالتفصيل ·

ــ تقولين أنه حضر بحثا عن شخص آخر · وانه لم يحضر لرؤيتك ؟

فاجبت : « أعتقد أنه كان يبحث عن مايلز »

ــ لماذا تعتقدين ذلك ؟

ــ لدى احساس اكيد · الا تتفقين معى فى ذلك ؟

فلم تبد اعتراضا **وقالت :** ماذا يحدث لو فرض ورآه مايلز ·

صحت قائلة : ذلك مايريده الرجـــل · يريد أن يظهر لهما ! ·

عندئذ صممت على حماية الطفلين · أن اجعـل نفس دائما بمثابة حاجز بينه وبينهما ·· كنت متأكدة.تماما انى سوف اراه مرة ثانية ، وانه ليس فى مقدوره أن يصيبنى بأى اذى · وبمساعدة السيدة جروز لى اعتقدت أن فى امكانى أن أتغلب على المشكلة · ومازلت اذكر احد الأشياء الأخيرة التى قلتها لها فى تلك الليلة ·

ــ لكن اليس من الغريب أن الطفلين لم يذكرا شـيئا ابدا ··· ؟

وترددت للحظة ··

فاكملت السيدة جـــروز مايدور فى فكرى : ··· ان كوينت كان هنا ، وانهما كانا معه ؟

ــ لم ينطقا بكلمة عنه ابدا ، ولا حتى اسمه ·

ــ حسن ، فلورا لاتذكره بالطبع · فلقد كانت صغيرة جدا · ولاتعرف اى شىء عنه ·

ــ اذا كنت تعنين موته ، فربما لاتذكر · لكن مايلـــز لابد انه يذكر ·

فتوسلت الى : « اوه ، ارجو الا تساليه ، يا انسة » ·

ـ لا داعى لخوفك · لكنها مسالة غريبة · اليس كذلك ؟

ـ هل لأن مايلز لم يقل لك شيئا ابدا عن كوينت ؟·

ـ نعم · خاصة وقد قلت انهما كان صديقين حميمين ·

فاعلنت اعتراضها : « اوه ، لم تكن الصداقة من جانب الطفل ، كانت وجهة نظر كوينت ·· أعنى أن يلعب معه ويفسده » ·

توقفت ثم اضافت : « لقد كان كوينت متحررا جدا · »

تخيلت وجه الشبح وانتابنى فجاة شعور بالتقزز **وقلت :** « متحرر جدا مع مايلز ؟ »

ـ « بل ، متحرر جدا مع كل شخص ! »

فهمت من ذلك ان كوينت كان له بعض التاثير السيىء على الآخرين فى البيت · لكنى عرفت ايضا ان « بـلاى » يتمتع بسمعة طيبة بين الخدم واهل القرية · ولم تكن هناك حكايات سيئة مما تروى عادة عن مثل هذا النوع من البيوت القديمة ·

ـ وهكذا فانت تعترفين اذن ، بان شـــخصيته كانت سيئة ؟

ـ حسن ، انا كنت اعرف ذلك ·· لكن السيد لم يكن يعرف ·

ـ ألم تقولى له ابدا ؟

ـ انت تعرفين يا آنسة ، انه لايحب الشكوى · وكان يتضايق جدا من اى شىء من هذا القبيل ، واذا كان الناس بالنسبة له يبدون على مايرام ··

ـ فلا يفسح اى مجال للشكوى ، نعم ، اتفق معك ، فهو يحب ان يتفادى كل المشاكل ويجعلها بعيدة عنه · لكنى أعتقد لو انى كنت مكانك لقلت له !

ـ اعترف باننى كنت مخطئة · لكننى فى الحقيقة كنت خائفة ·

ـ وما الذى كنت تخافين منه ؟

ـ من الأشياء التى كان من الممكن ان يفعلها ذلك الرجل فقد كان كوينت ماهرا جدا ، وحادا جدا · »

– الم تخافى من تاثيره ...؟

– تاثيره ؟ !

كررتها بشىء من الالم .

– اقصد تاثيره على الطفلين . فقد كانا تحت رعايتك .

– اوه ، كلا ، لم يكونا تحت رعايتى . فقد كان السيد يثق فيه وارسله الى هنا لأن صحته كانت معتلة . لأن جو الريف كان من الممكن أن يفيده . كان مسئولا عن كل شىء .. حتى الطفلين .

اذهلتنى هذه الأنباء . حتى اننى اسـتدرت لأخفى وجهى وقلت : «اتعنين أن هذا الرجل كان مسئولا..عنهما ؟ كيف أمكنك أن تطيقى ذلك ؟ »

– لم أستطع .. لم أستطع .. ولا أستطيع حتى الآن !

وانفجرت المراة المسكينة فى البكاء وسرعان ماتركتنى بسرعة .

وابتداء من اليوم التالى حرصنا على مراقبة مايلز وفلورا عن قرب . وكنا أحيانا نعود الى مناقشة الموضوع خلال

الأسبوع أنا والسيدة جروز . واعتقدنا اننا ناقشـنا كل شىء ، لكن كان هناك دائما سؤال نرغب كل منا أن تطرحه مرة ثانية . فلقد كان لدى احساس غريب بأن هناك شيئا ما لم تقله لى . شىء لم يكن واضحا حتى بالنسبة لى ، حتى أسالها عنه سؤالا مباشرا . أنا لا أشك فى اخلاصها ، لكن اخفاقها فى القيام بذلك كان مبعثة الخوف بالتاكيد .

كنت اقضى أوقاتا طويلة من الليل يقظة . افكر مليا فى الحقيقة . لقد اعطونى صورة لرجل حى .. وبالتالى لم افكر فى الرجل الميت ! .. ولم تكن صورة لطيفة . لقد قضى عدة شهور فى « بلاى » ، حتى انتهـت تلك الفترة الآثمة صباح احد ايام الشتاء.اذ وجد بيتر كوينت ميتاعلى الطريق المؤدى الى القرية . كان هناك جرح فى احد جوانب راسه ، قيل انه من اثر سـقوطه على حجارة الطريق فى الظلام . كان يشرب فى حانة القريـة . واعتبر البوليس موته مجرد حادث . لكن اثناء التحقيق قيلت اشياء غريبة منها : ان كوينت كان يعيش حياة غير طبيعية ، وان تصرفاته مشكوك فيها ، وانه كان يعانى من بعض اضطرابات غير معروفة فى عقله .

عندئذ هيأت نفسى لأكون بمثابة سياج حول الطفلين · فلقد كان واجبى هو حمايتهما من وجود كوينت الشـــرير والا يشاهدا الا القليل من الكثير الذى شاهدته · بل وتمنيت بالطبع ، الا يريا شيئا ، وان يظل كوينت مختفيا عن ناظريهما كما هو الحال بالنسبة للسيدة جروز ··

كانت تلك الفترة فترة ترقب وقلق ، لكن انتظارى لم يستمر طويلا حتى تحول هذا القلق الى برهان مخيف !!

فقد حدث بعد ظهر أحد الأيام عندما كنت أجلس وحدى مع فلـورا فى الحديقة ·· كنا قد تركنا ما يلز فى البيت جالسا على أحد المقاعد الوثيرة بجوار النافذة لينهى كتابا ، وكنت سعيدة لتشجيعه على ذلك · فقد كان من أحد عيوبه ، ربما ، انه كان يترك واجباته دائما دون ان ينهيها ! اما فلورا فكانت تريد الخروج للتمشى ، ومن ثم خرجنا سويا للتمشى عند البحيرة ·

وكالعادة كنا نلعب سويا · ولـــم اكن أبدا اشارك تلامذتى بحماس شديد فى هذه الألعاب · لأنهـم دائمـــا

كنت أجلس مع فلورا فى الحديقة ··

مايكونون على راحتهم بدونى ، لكن كان لابد أن ابدى نوعا من التوافق حتى أبدو شخصية جذابة بالنسبة لهم · كانوا لايتوقعون منى أن افعل اى شيء ابدا · ونسيت ماكنت عليه فى هذه المناسبة ، لكن كل ما اذكره اننى كنت هادئة جدا واشعر بأهميتى ، على حين كانت فلورا تلعب بنشاط زائد ·· وفى ذلك الحين كنت جالسة على اريكة حجرية قديمة بجوار البحيرة اقرأ خطابا طويلا تسلمته هذا الصباح من قبل والدى ·

فجأة انتابنى احساس غريب باننا مراقبان ، لم ارفع نظرى الى اعلى لكننى ركزت فكرى وحاولت أن اقرر مايجب ان افعله ·· أحسست احساسا اكيدا بوجود شخص غريب ··ومازلت اذكر الاحتمالات التى جالت فى ذهنى،ربمايكون شخصا من افراد البيت ، او رسولا من القرية او صبى البقال لكن احساسا ما كان يؤكد لى أن الأمر ليس كذلك ·

وفجأة أصبحت فلورا ساكنة ، لكن للحظة فقط · ثم شرعت فى الغناء وبدلا من التطلع الى البحيرة ، اخذت أنظر مباشرة الى الطفلة · وانتابنى القلق اذ ربما تكون

قد أحست بوجود الغريب وتوقعت ان تصدر منها صيحة اندهاش أو خوف · لكن لم يحدث شيء وعندما نظرت اليها كانت تقف وظهرها الى البحيـــرة · والتقطت قطعتين من أعواد الخشب كانت تحاول أن تصنع منهما قاربا صغيرا · بعدها اخذت أنظر الى الماء

- ٧ -

عدت بأسرع مايمكن لمقابلة السيدة جروز . **وصحت قائلة :**

ـ الطفلان يعرفان ! انهما يعرفان ، يعرفان وهذا شيء مقلق !

فرددت : « يعرفان ؟ ما الذى يعرفانه ؟ »

ـ يعرفان الذى نعرفه تماما .. وربما أكثر ! .. منذ ساعة مضت كنت انا وفلورا عند البحيرة ، ورأت ما رأيناه ! انا أعرف انها رأت !

ـ هل قالت لك ؟

ـ لم تنطق بكلمة .. وهذا أسوأ ما فى الموضوع .. لكننى متأكدة تماما انها رأتها !

– رأتها ؟ !

– أجل ، كانت امرأة هذه المرة ، لكنها بدت شريرة تماما مثل الرجل · كانت ترتدى السواد · ووجها شاحب بدرجة مخيفة ·· أوه ، لا أستطيع أن أصف لك كيف ··

– أين رأيتها ؟

– على الضفة الأخرى من البحيرة · كنت جالسة على مقعد حجرى قديم ، وكانت الطفلة تلعب · ثم فجأة ظهرت !

– كيف ظهرت ؟ ·· ومن أين ؟

– ظهرت فجأة ووقفت هناك · كان لدى احساس أن شخصا ما يراقبنا حتى قبل أن أراها ·

– هل سبق أن رأيتها من قبل ؟

– أبدا · لكن الطفلة رأتها من قبل · انها تعرفها · وأنت تعرفينها أيضا · أعتقد أنها المربية السابقة ·· تلك التى ماتت !

– الآنسة جيزيل ؟

– نعم !

– لكن كيف يمكنك أن تعرفى ؟

– لا أدرى – لكن فلورا تعرف – انها متأكدة · أرجو ألا تسأليها · فسوف تقول انها لم تر أى أحد · سوف تكذب عليك !

– آه ، لكن كيف تســـتطعين قول شىء مثل ذلك ؟ ففلورا عمرها ثمان سنوات فقط ·· ؟

– أعتقد أننى مدركة لذلك تماما · ان فلورا لاتريدنى أن أعرف · ولو أنك كنت موجودة عند البحيرة، لأمكنك التحقق من ذلك · هناك سر عميق بخصوص هذا الموضوع وكلما افكر فيه أكثر كلما ازداد خوفا !

– هل تعنين أنك تخشين من رؤيتها ثانية ؟

– أوه ، كلا · كل ما اخشاه ان تراها فلورا ، فى حين لا أراها أنا !

بدت عليها الحيرة وقالت : « أنا لا أفهم · ينبغى الا

نشغل ذهننا بذلك ! وعلى كل ، فربمـــا تكون الطفلة غير مدركة » ...

وحاولت ان تلقى بنكته : من المحتمل انهـــا معجبة بذلك !

ـ طفلة فى الثامنة .. تعجب بمثل هذه الأمور ؟

ـ حسن ، الا يثبت ذلك انها لاتدرك ابعاد المسالة ؟

فقلت : « اوه ، ترجو أن يكون الأمر كذلك . اما اذا كان العكس فهذا يدل على وجود شىء مزعج ، لأن المراة تجسيد للشر كله .

اطرقت السيدة جروز برأسها الى الأرض لمدة دقيقة ، ثم رفعت بصرها الى ثانية **وقالت :** « أخبرينى كيف عرفت ذلك » ؟

ـ من منظر وجهها .. من الطريقة التى كانت تنظر بها .

ـ تقصدين الطريقة التى نظرت بها اليك . ؟

ـ كلا ، كلا . فهى لم تنظر الى على الاطلاق . بـل كانت مهتمة بفلورا فقط .

ـ وكيف كانت تنظر الى الطفلة ؟

ـ آه ، بنظرة قاسية ! كيف يتسنى لى ان أصفها ؟ كانت تنظر اليها باصرار مرعب .. للسيطرة عليها !

سكتت السيدة جروز لحظة **ثم قالت :** « هل كانت المراة تلبس السواد ؟ ! » .

ـ نعم . كان منظرها بائسا ومشوشا ، لكنها كانت تتحلى بجمال غريب . أوه ، نعم ، جميلة حقا .. لكنها شريرة !

وتكلمت السيدة جروز ببطء **وقالت :** « كانت الآنسة جيزيل شريرة حقا » .

وامسكت يدى وضغطت عليها برقة . **وقالت بعد لحظة :** « لقد كان كلامها شريرا » .

فاجبت : « الآن افهم السبب فى عدم كلامك من قبل . لقد كنت وفية لها . لكنى اعتقد انه يحتم عليك الآن أن تقولى لى . ما السبب فى موتها ؟ هل كانت هناك علاقة بينها وبين كوينت ؟ » .

ـ نعم · بل أكثر من ذلك !

ـ بالرغم من اختلاف ···

ـ ··· مستواهما · ومركزهما ·· نعم · بالرغم من كل شيء ·· كانت سيدة محترمة !

ما زلت اذكر تعبير وجهها وهى **تقول** : « نعم ـ كانت سيدة محترمة » ·

ـ وكان هو مجرد خادم خاص ·

ولم اشأ ان أجعل السيدة جروز تشعر بالخجل بقول المزيد عن وضعية الخدم الاجتماعية ، **فاكتفيت بقولى : لقد** كان شخصا مقززا ·

فقالت : لـم أعرف انسانا يماثله · فلقد كان يتصرف بما يرضيه ويسعده هو فقط ·

ـ مع الآنسة جيزيل ؟

ـ أجل ، ومع الخادمات ايضا ·

ـ لكن لابد انها سمحت له بذلك · لابد ان ذلك كان برضاها ·

ـ كان الأمر كذلك · لكنها كانت تعانى منه فيما بعد ، يالها من امراة مسكينة !

قلت : « اذن فانت تعرفين سبب موتها »

ـ كلا · لا أعرف شيئا عن ذلك · ولم ارد ان أعرف · وكنت سعيدة من اجلها عندما رحلت من « بلاى » ·

ـ لكن لديك فكرة ما ··

ـ أنا أعرف بالطبع السبب الحقيقى لتركهـا المكـان هنا · لم تستطع البقاء · عليك ان تتخيلى فقط ما يمكن ان يحدث للمربية هنا ! أوه ، شيء فظيع !

وكنت انا التى انفجرت بالبكاء هذه المرة · فاحاطتنى بذراعيها الحانيتين · **وصحت قائلة : ما** الذى يمكننى ان افعله لانقاذ الطفلين ·· لحمايتهما ؟ ان الأمر أسوأ جدا مما كنت أتخيل !!

- ٨ -

بعد أن تركت السيدة جروز عدت الى الطفلين ·· فقد كان العلاج الأمثل لتوترى أن أقوم بالتدريس لهما فى حجرة الدراسة ·

واقبلت فلورا ناجيتى على الفور ، تتطلع فى عينى وقالت بجدية : « ماذا حدث ؟ لماذا كنت تبكين » ؟

كنت أظن اننى قد محوت آثار الدموع من عينى ، لكننى كنت سعيدة وقتها لأننى لم افعل ذلك · فنظرت الى عينيها الزرقاوين الصافيتين ، وتأكدت تماما انه ليس بهما أى نوع من الخداع المقصود · كانت عيناهـــا من الجمال بحيث لاتسمحان لأى نوع من الخداع ·

وعندما اصبحت قريبة من الطفلين ، لم استطع تصديق

انهما يعرفان أو يفهمان معنى الشر · وتلاشت شـــكوكى ومخاوفى عندما سمعت صوتيهما ·

وفى وقت متأخر من الليل ، وبعد أن نام كل فرد فى البيت ، كان لى حديث مع السيدة جروز · عبرت لها عن مشاعرى نحو الطفلين ، وشرحت لها كذلك مظاهر الخداع التى لاحظتها بعد الظهر بالقرب من البحيرة ·

قلت : لقـد راعنى أن فلورا متعودة على لقـــاء هذه المرأة ! وأنا أعرف الآن أساليبها الصغيرة ! لقد رأت الآنسة جيزيل ·· لكنها كانت تريدنى أن أعتقد بأنها لم ترها · فى نفس الوقت ، ودون أن يبدو عليها أى شىء ، كانت تتساءل عما اذا كنت قد رأيتها أم لا !

سألتنى السيدة جروز : « كيف يمكنك أن تتأكدى من ذلك ، فطفلة فى الثامنة لاتستطيع أن تفكر على هذا النحو »

فأجبت : « أعرف من خلال تصرفاتها · كانت تحاول أن تحول انتباهى بعيدا عن الزائرة · فبدأت تغنى وتتحدث الى نفسها · ثم أرتنى القارب الصغير الذى صنعته » ·

قالت : « فى الحقيقة ، أنا لا أستطيع فهم المسألة على الاطلاق ! »

لم أكن أتوقع من السيدة جروز بالطبع ، أن تصدق أى شىء يسىء الى فلورا · لكن لو أننا تعاونا سويا ، فلسوف أكون على يقين من شىء واحد ·

سألتها : لكنك تصـدقين أننى رأيت الآنسة جيزيل ، أليس كذلك ؟ فأنا لم أكن أستطيع وصف هذين الشخصين بوضوح ، اذا لم أكن قد رأيتهما · وقد تعرفت أنت عليهما فورا من خلال وصفى ·

ـ أعرف ·· وهذا لايرقى اليه الشك · فلقد وصفت كوينت تماما ، وكذلك الآنسة جيزيل · لكن أوه ، كم أود أن ننساهما !

وقلت : « اننى أبحث عن سبيل للهرب منهما ، أو على الأقل نتعود على هذا الخطر · ويبدو أن الطفلين متعودان تماما على ذلك ، وأن ذلك لايسبب لهما أى ضرر حتى الآن الا اذا ··· »

وترددت للحظة · فسألتنى : « الا اذا ماذا »

ـ أنت تذكرين بالطبع خطاب مدرسة مايلز · وعندما ناقشنا المسألة ، قلت ان مايلز يكون سيئا فى بعض الأحيان لكننى منذ عرفته فهو دائما ما يتصرف بشكل طيب · لكن المدرسة اكتشفت بعض الاخطاء التى صدرت منه ، وأنت تعرفين على الأقل مثالا واحدا من تصرفاته السيئة فقولى لى ماهو » ·

فأجابت : « هو تعلقه بكوينت · وكم كان يؤرقنى جدا وجودهما دائما مع بعضهما · واستمر ذلك لعدة شهور · ولم يكن من الصواب اطلاقا ان يكونا بمثل هذه الصداقة الحميمة ، وتحدثت الى الآنسة جيزيل بخصوص ذلك » ·

ـ وماذا قالت ؟

ـ قالت ان ذلك ليس من اختصاصى · بعد ذلك قلت لمايلز ، انه لابد لذلك الشـــاب ان يعرف مركزه فى هذا البيت

قلت : « كنت تقصدين بذلك ان كوينت مجرد خـــادم خاص ، وليس من المناسب أن يكون صديقا له » ·

ـ أجل ، ولم تعجبنى اجابته على · وكان يتناقش معى بخصوص ذلك فى كل مناسبة ·· كنت أعـــرف انهما كانا يقضيان ساعات طويلة احيانا ، كما لو أن كوينت كان مسئولا عنه · لكن مايلز كان يقول ان ذلك ليس صحيحا ·

ـ فهمت · كذب عليك اذن ؟

ـ أعتقد ذلك · فى حين ان الآنسة جيزيل لـم تكن تمنعه من مرافقة كوينت · لم تكن تهتم بالأمر على الاطلاق ·

ـ ألم يذكر مايلز ابدا وجود اى علاقة بين الآنسة جيزيل وكوينت ؟ هل تعتقدين انه كان علم بعلاقتهما ؟

فصاحت : أوه ، لا أعرف ·· لا أعرف !

ـ انا أعتقد انه ربما كان على علم بذلك فعلا ، وكان يحاول أن يخفى ذلك عنك · فطالما كذب عليك ، فلا بأس بشىء من الخداع ·

فقالت السيدة جروز : آه ، ذلك ليس شيئا حسنا !

فاجبت : « وخطاب المدرسة ايضا ليس بالشيء الحسن كذلك » ٠

ـ ٠٠٠ لكن اذا كان هو بمثل هذا السوء ، فكيف يكون اذن بمثل هذه الطيبة الآن ؟ !

فقلت : « فعلا ، كيف ، كيف ، كيف ؟ ارجو ان تعيدى على هذا السؤال مرة اخرى لأننى لا استطيع الاجابة عليه الآن ٠ **فيكفينى** أن اعرف انه بينما كان مع ذلك الرجل ٠ »

ـ كانت فلورا مع المراة ٠ الوضع مناسب لهم جميعا ٠

ولقد عبرت السيدة جروز بتكملتها افكارى عن اسوأ مخاوفى ٠ لم اشرح لها الأمر **واكتفيت بقولى :** «ينبغى على مراقبتهما الآن اكثر من اى وقت مضى » ٠

نهضت لتنصرف ٠ **وعند الباب قالت :** انت بالتاكيد لا تتهمين مايلز بمقابلة كوينت سرا ؟

قلت : « انا لم اتهم أحدا بعد ٠٠ يجب ان انتظر حتى ارى ماذا يحدث !! » ٠

ـ ٩ ـ

انتظرت وانتظرت ٠ وبمضى الأيام اصبحت اكثر هدوءا ٠ ولم تمض ايام كثيرة ،خلت من اى أحداث جديدة حتى استعاد ذهنى صفاءه مرة ثانية ٠

فقد جعل الطفلان عملى بمثابة سعادة كبيرة لى ، وسرعان ما اكتشفت مدى اجتهادهما ٠ ولم يكن مصدر سعادتى هو أداء واجباتهما المدرسية ، بل كانا لايكلان ابدا عن ايجاد اى وسيلة جديدة لتسليتى واسعادى ٠

كانا يحبان رواية الحكايات لى ، او قراءتها لى ٠٠ كانا يمثلان بعض المشاهد الصغيرة لامتاعى ٠ كما بهرنى ايضا ذاكرتهما المدهشة ٠ فكانا يسمعان عن ظهر قلب اشعارا طويلة كنا قد قرأناها سويا ، واعتقد انهما حفظا هذه

الاشعار سرا لمجرد اسعادى · تقدم مايلز تقدما ملحوظا فى دراسته ، ومن المحتمل اننى بسبب ذلك لم أشغل فكرى بالبحث عن مدرسة أخرى ·

حتى بعد أن غادرت « بلاى » كنت أحاول اكتشاف تفسير معقول لمهاراته المذهلة ·· بدا لنا اننا نعيش فوق سحابة ذهبية من النجاح والبهجة · كان يعزف على البيانو برشاقة وجمال ، وكنت أجلس لأستمع اليه ، اكثر مما كان ينبغى على المربية أن تفعل ·· ويبدو انه فى ذلك الوقت كان واقعا تحت تاثير قوى على ذهنه ، جعل حواسه متيقظة كالنصل الحاد اللامع ·

وكان من السهل على ان أؤجل البحث عن مدرسة بالنسبة للصبى الصغير ذلك انه لم يفقد شيئا ببقائه فى البيت وهذا ماجعل الخطاب الذى أرسله ناظر المدرسة يظل سرا كبيرا ·

لم أنس بطبيعة الحال الأفكار الغريبة التى جعلتنى اخته افكر فيها · فتجربتى معها عند البحيرة شحذت

اهتمامى بكلا الطفلين ، وكنت اتساءل عما اذا كان خمنا سبب ذلك ·

كانت هناك اوقات لا أستطيع فيها أن اقاوم ابداء حبى لهما ، لكنى دائما كنت اخاف بعض الشىء من فعل ذلك ، فربما يلاحظان الشفقة التى يتضمنها هذا الحب · واكتشفت صدفة ملامح اتفاق سرى بينهما : فعلى حين يقوم احدهما بشغلى يتسلل الآخر الى الخارج · لكن فى معظم الأحيان كنت أتواجد مع كليهما ، ولم يحدث أى شىء غير عادى ·

على الأقل لم يحدث شىء غير عادى لمدة تزيد على ثلاثة أسابيع · ثم حدث ذات مساء ان شعرت بلمسة باردة غريبة فى البيت !

كنت فى حجرة النوم التى اشارك فيها فلورا ، لكننى لم اكن قد ذهبت الى الفراش بعد · كان المصباح مضيئا ، وانا اجلس على كرسى مريح ، اقرأ · فقد كانت فى « بلاى » حجرة مليئة بالكتب القديمة ، كثير منها كان ممنوعا من دخول بيتنا الهادىء ولذا فقد اثارت فضولى · واذكر أن

الكتاب الذى كنت اقراه كان بعنوان « كفاح اميليا » واذكر كذلك ان الوقت كان متاخرا جدا ، لكنى كنت يقظة تماما · وكانت فلورا نائمة بالطبع منذ عدة ساعات فى سرير صغير بجوار سريرى ، وكنت قد اسدلت ستائر السرير (الناموسية) · ورغم اننى كنت مشدودة تماما الى الكتاب الا ان قوة شديدة جعلتنى اتطلع فجاة الى باب غرفتى ·

انصت للحظة ، متذكرة الأصوات التى سمعتها فى الليلة الأولى لوجودى فى البيت · نحيت الكتاب جانبا بحرص ، والتقطت المصباح وخرجت بهدوء من الغرفة واغلقت الباب خلفى ·

ودون ان أعرف لماذا ، سرت مباشرة عبر الممر الى النافذة الطويلة الموجودة بأعلى السلم · وعندما وصلت اليها ، حدثت ثلاثة اشياء دفعة واحدة · هبة ريح فجائية اطفأت المصباح الذى فى يدى · ضوء القمر المستقيم يخترق النافذة ، ولا حظت وجود شخص على بسطة السلم · عرفت فى الحال انه كوينت · وكان تقريبا قد وصل الى النافذة ، ولكن عندما رآنى توقف ·

نظر الى بنفس النظرة التى نظر بها الى من فوق البرج ومن خلال النافذة · عرفنى تماما مثلما عرفته · ووقفنا وجها لوجه تحت ضوء القمر البارد · وفى هذه المرة تعرفت عليه تماما ككائن حى كريه وعدو خطير · لكن لم يكن ذلك هو الشىء الغريب فى لقائنا ، انما الأغرب من ذلك هو أننى لم أشعر بأدنى خوف ·

لقد أصابنى بالطبع الكثير من الألم والانزعاج بعد تلك اللحظة الأولى ، لكن شكرا لله على اننى لم اشعر بالخوف · وعرف اننى لست خائفة منه · ولم اكن أظن فى نفسى أبدا أن اكون بمثل هذه الشجاعة الفائقة ، وكل ما اعتقده ان هناك مؤثرات أخرى تفوقت على مشاعرى العادية · وتاكدت اننى لو وقفت امامه بحزم ، فلن يصيبنى بأذى · وبينما كنت اقف هناك ، بدا لى الأمر وكانه لقاء بانسان مرعب او مجرم أو شخص مجنون خلال الليل وفى بيت أهله ينام · ولو كنت قابلت مجرما فى نفس المكان ونفس التوقيت ، لكنا تبادلنا الكلام على الأقل مع بعضنا · لكن كوينت وأنا كنا صامتين ، وهذا هو الجزء غير الطبيعى فى لقائنا ·

لم نتكلم او نتحرك قيد انملة ، ومـر الوقت بطيئا · لا استطيع وصف ماحدث بعد ذلك ، فيما عدا أن الشخص استدار وبدأ يختفى داخل الصمت ذاته · رأيته يستدير بوضوح ، بالضبط وكان كوينت خادم حى ، أصـدرت له أمرا بالانصراف · وسرت عبر بسطة السلم فى الظلام ··

- ١٠ -

استغرق الأمر منى عدة لحظات لأدرك تماما ان زائرى قد إختفى · بعدها عدت الى حجرتى ·

أضأت المصباح ثانية فرأيت على الفور سرير فلورا الصغير خاليا · كانت الستائر (الناموسية) مسدلة حوله ، لكننى استطعت ان أرى من خلال قماشها الخفيف ان الطفلة ليست موجودة فى السرير · فى تلك اللحظة انتابنى الخوف حقيقة !

التفت بسرعة ناحية صـوت صـدر من ناحية النافذة ولشد ما ارتجت عندما ظهرت فلورا من خلف الستائر · كانت تقف هناك فى قميص نومها ، تظهر قدماها الصغيرتان من تحته · بدت جادة جدا · وعندما تحدثت الى ، فقدت

فى التو كل المميزات التى كسبتها من مقابلتى الأخيرة مع كوينت ،واحسست بالخسارة بفداحة ·

سالتنى : أين كنت فى ذلك الوقت المتاخر من الليل ؟

وبدلا من سؤالها عن سبب تركها لسريرها وذهابها الى النافذة ، اخذت ابرر لها سبب غيابى ، ولم يكن ذلك بالشىء الهين · أما هى فقد بررت تصرفها ببساطة وبحماس · فلقد اكتشفت فجاة ، وهى راقدة هناك ، أننى خارج الغرفة ، فنهضت لترى ماذا حدث لى ·

فى ذلك الوقت كنت جالسة على مقعدى ثانية ، فاتجهت ناحيتى مباشرة ، وجلست على ركبتى ، وانعكس ضوء المصباح على وجهها الجميل · **سالتها :** هل اعتقدت أننى كنت اتمشى فى الحديقة ؟ ·

ابتسمت لى : حسن ، ظننت أن هناك شخصا ما ·

قالت ذلك وكان نظرها مثبتا على ·

ـ وهل رأيت أحدا ؟

فاجابت ببطء : « اوه ، بالطبع لا · »

فى تلك اللحظة كنت فى غاية القلق ، وتاكدت بكل صدق انها كذبت على · اغلقت عينى لكى اقاوم الفكرة التى داهمتنى فجاة · لماذا لا اخبرها توا اننى اعرف سرها ؟ لماذا لا أقول لها : « لقد رايتها ، انت رايتها ، وانت تشكين فى أننى أعرف ! فلماذا اذن لاتخبرينى بكل شىء ؟ لو انك قلت لى ، فيمكننا اذن أن نشترك فى المشكلة · بل ويمكننا أن نعيش سويا هذا الشىء المزعج ، وربما نتعلم معنى قدرنا الغريب ؟ »

لكنى لم أستطيع قول ذلك · وهكذا واصلت معاناتى · وقفت واتجهت ناحية سريرها **وسالتها :** « لماذا أسدلت ستائر السرير « الناموسية » مرة ثانية ؟ حتى تجعلينى اظن انك مازلت فى السرير ؟ »

فكرت فلورا فى ذلك **ثم قالت بابتسامة :** « لأننى لم أرد ازعاجك »

ـ لكنك كنت تظنين أننى قد خرجت ·

لم يصبها أى نوع من الحيرة · ونظرت الى لهب

المصباح **واجابت بسهولة** : اوه ، نعم فقد كان من المحتمل ان تعودى ثانية ، وها أنت قد عدت !

ثم ذهبت الى الفراش ، وجلست انا الى جوارها لفترة ، امسك يدها حتى راحت فى النوم اخيرا ·

ولك ان تتخيل ماشعرت به ، خلال الليالى التالية منذ ذلك الوقت · كنت ابقى متيقظة حتى لا اقوى على فتح عينى وكنت اختار اللحظات التى تكون فيها فلورا مستغرقة فى النوم واخرج الى الممر واسير فيه بهدوء حتى اصل الى النافذة حيث قابلت كوينت · لكنى لم اقابله هناك مرة ثانية ، وكنت اقول لنفسى ربما لن أراه مرة ثانية ابدا فى هذا البيت ·

لكن ذات ليله ضاعت منى الخامرة مختلفة على بسطة السلم ·

كانت بشائر النهار قد طلعت بالفعل وظهرت من خلال النافذة · وتطلعت الى اسفل وعلى الفور تعرفت على ملامح سيدة تجلس على درجة من درجات السلم السفلية وظهرها

لى · كان جسدها محنيا الى الامام وتمسك راسها بين يديها · تطلعت اليها للحظة قبل ان تختفى دون ان تلتفت حولها · لكننى كنت اعرف اى وجه مرعب كنت ساراه لو اننى كنت فى اسفل ، وتساءلت عما اذا كنت لن اخاف منها مثلما حدث لى مع كوينت ·

ومرت الأيام والليالى · وفى الليلة الحادية عشرة بعد مقابلتى الأخيرة مع كوينت انتابنى شىء من الخوف ، لأن ماحدث شىء لم اكن اتوقعه ، وصدمنى بعنف ·

كنت مجهدة جدا حتى اننى نمت مبكرة على غير العادة لكن فى حوالى الواحدة استيقظت فجاة ، كما لو ان احدا هزنى بيده ، فقمت جالسة فى السرير · فوجدت المصباح الذى تركته مشتعلا قد انطفأ فى تلك اللحظة ، واحسست ان فلورا هى التى اطفاته بالتاكيد · نهضت وذهبت الى سريرها فى الظلام · كان السرير خاليا · اشعلت عود ثقاب وامكننى رؤية شبحها خلف ستائر النافذة ·

لقد تركت الطفلة سريرها ، واطفأت المصباح ، واتجهت

ناحية النافذة لتتطلع الى الخارج · لم تزعجها حركتى على الاطلاق ·فقد كانت مختبئة ومحتمية خلف الستائر ، كان من الواضح ان شيئا ما بالخارج يجذب انتباهها ·وكان لسطوع القمر كاملا ، اثر فى مساعدتها على ذلك ، كما انه نبهنى الى شىء ما · من المحتمل انها تواجه الآن تلك المرأة التى قابلناها عند البحيرة وجها لوجه · كان مادار فى ذهنى ان اغادر الحجرة فى هدوء دون ان ازعجها ، وأطل من نافذة اخرى يمكننى من خلالها ان ارى نفس المنظر · وصلت الى الباب وأغلقته خلفى ، وأخذت أنصت من الخارج لأى صوت يصدر عنها · لكننى لم اسمع شيئا ·

وبينما كنت اقف فى الممر تطلعت الى باب حجرة نوم مايلز الذى كان قريبا منى · هل ادخل مباشرة وأتجه الى نافذته ؟ لكنه سيخمن بالتأكيد سبب تطلعى من النافذة ، وربما يساعد ذلك فى حل اللغز ؟ ·· اتجهت الى الباب وتوقفت قليلا · ربما يكون هو الآخر يحتفظ بسر التطلع من النافذة · لم يكن هناك اى صوت فى الحجرة ، ربما يكون مستغرقا فى النوم · كانت المخاطرة بازعاجه كبيرة · لذلك فقد تراجعت ·

كنت على يقين بان هناك شخصا ما فى الحديقة ، زائر كانت فلورا تعطيه كل اهتمامها · لكنه ليس الزائر الذى يهتم بمايلز ، كان هنـــاك العديد من الغرف الخالية فى « بلاى » ، وكان من السهل العثور على حجرة ذات نافذة تطل على نفس المنظر مباشرة · وكانت الحجرة السفلية فى البرج القديم قريبة جدا منى ، فاتجهت مباشرة اليها · فهى تناسب غرضى تماما ·

كانت حجرة كبيرة مربعة لم تستغل منذ عدة أعـوام لكن السيدة جروز كانت رغم ذلك تقوم بتنظيفها ، ومفروشة بعناية كحجرة نوم · كنت دائما معجبة بها وأعرف طريقى اليها بسهولة ·· دخلت الحجرة وتوجهت الى النافذة حيث أصبحت الحديقة تحت ناظرى ·

كان ضوء القمر يجعل الرؤية واضحة بشـــكل غير عادى · نظرت من النافذة ورأيت شخصا يقف فوق العشب بين صفين من اشجار طويلة · وبدا حجم الشخص صغيرا من على بعد · كان يقف ساكنا هادئا ، يتطلع الى أعلـى

البرج الموجود فوقى · وفهمت فى الحال أن هناك شخصا آخر فى البرج ، شخصا ما كان يقف فى المكان الذى رأيت فيه كوينت أول مرة · لكن الشخص الواقف فوق العشب لم يكن كوينت ولا الآنسة جيزيل · وعندما اكتشفت الحقيقة احسست بالسقم لقد كان الشخص الذى كان ينظر الى أعلى من الحديقة هو مايلز نفسه !

- ١١ -

وعلى الفور هبطت السلم وخرجت الى الحديقة · وعندما ظهرت فى ضوء القمر ، اتجه مايلز الى ، وامسكت بيده · ودون أن انطق بكلمة سرت به عبر الممرات المظلمة حتى وصلنا الى بسطة السلم التى ظهر فيها كوينت من قبل لأجله · وتوجهنا الى غرفته ، حيث الباب الذى وقفت عنده انصت وارتعد ·

خلال سيرنا كنت أسال نفسى عن المبررات التى سيقدمها · لابد ان تكون اشياء لايمكن أن أصدقها · لقد ارتكب خطأ بتركه المنزل فى منتصف الليل ، ولايستطيع أن يدعى ذلك مجرد لعبة · فى نفس الوقت كانت تواجهنى صعوبة أنا ايضا ·

فمنذ الآن وصاعدا سيعرف مايلز أننى كنت أراقبه ،

وتساءلت عن النتيجة التى يمكن أن تحدث بناء على تلك المعرفة ·

دخلنا الى حجرته · لم تكن الستائر مسدلة · وضوء القمر ينير المكان ، ولم تكن بى حاجة لاشعال ثقاب كان فرش السرير مرتبا مما يؤكد عدم استعماله على الاطلاق · جلست على طرف السرير ، **وقلت :**

ـ يجب أن تخبرنى بالحقيقة يامايلز · لماذا خرجت ؟ · ماذا كنت تفعل هناك فى الحديقة ؟ !

كانت هذه أسئلة عادية جدا ، وعندما طرحتها عليه ، كنت أعلم أن باستطاعته أن يقول لى أى شىء يريده · أما اذا اعتبرت المسألة مجرد مظهر من مظاهر سوء السلوك ، فان مايلز لن يخشى شيئا بعد ذلك · لكن لم يكن فى استطاعتى تماما فى تلك المرحلة الا أن اعتبر الأمر كذلك · وكان من المستحيل بالنسبة لى ، أن أشير الى موضوع كوينت الى طفل مثل هذا فى حجرة نومه وفى الساعة الواحدة صباحا ·

مازلت اذكر ابتسامته المشرقة ، وعينيه الصافيتين ، وصوته الهادى **عندما قال :** « لو اننى قلت لك عن السبب ، فهل ستقدرين الموقف » ·

وكاد قلبى يقفز الى لسانى · أيقول لى عن السبب ؟ ولم أستطع قول أى شىء ، لكننى أجبته بحركة من رأسى ·

قال : « حسن ، لقد خرجت حتى تعتقدى ، لمجرد التغيير باننى كنت ولدا سيئا » ·

قال ذلك بكلمات حلوة مرحة ، ثم انحنى الى الامام وقبلنى · كان ذلك نهاية كل شىء بالنسبة لى تقريبا · لم استطع أن اطرح عليه المزيد من الأسئلة ·

كان تبريره كاملا وتاما ، ولم يعطنى أى فرصة للمناقشة على الاطلاق · بذلت جهدا كبيرا حتى لا أبكى ·· ونظرت الى أرجاء الحجرة ، **وقلت :** « أنت لم تغير ملابسك »

ـ كلا ، فقد كنت جالسا أقرأ ·

ـ ومتى نزلت الى الحديقة ؟

– فى منتصف الليل · عندما اكون سيئا ، اكون سيئا بحق ·

– اتهم · لكن كيف كنت متاكدا بانني سابحث عنك ؟

وكانت اجابته حاضرة : « لقد رتبت ذلك مع فلورا ، اذ كان عليها ان تنهض وتتطلع من النافذة » ·

– هذا بالضبط مافعلته ·

– وبالتالى ازعجتك · فنهضت لتعرفـــى الى ماذا تنظر ، بعد ذلك رايتنى فوق العشب !

– اجل ، فوق العشب حيث كان من المحتمل ان تصاب بالبرد ! ·

فابتسم وقال : « وذلك ما يجعلنى اســـوا ·· اليس اليس كذلك » ؟

– نعم ، اعتقد ذلك !

– لكن ارجو ان تفكرى فيما يمكن ان افعله !

عندئذ تركته وعدت الى حجرتى ، حيث كانت فلورا قد عادت الى سريرها ونامت · وذهبت الى سريرى ايضا

لكننى استلقيت متيقظة لمدة ساعتين أو ثلاثة ، افكر فى تلك الواقعة ·

لم تتح لى فرصة عاجلة لاخبار السيدة جروز بذلك الموضوع · ذلك اننى احكمت مراقبتى للطفلين لدرجة انه كان من الصعب أن أقابلها وحدها · وشعر كلانا انه من المهم جدا الا نظهر من خلال تصـــرفاتنا ، اننا منزعجتان لذلك · فمما لاشك فيه أن الخدم والطفلين سوف يتاكدون بأن هناك أمرا ما ليس على مايرام لو راونا نتناقش على انفراد ·

وكانت تصرفات السيدة جروز الهادئة خير معين لى فى ذلك الوقت ، فلم يكن يبدو على وجهها البشوش اى ملمح من ملامح الخوف او الانزعاج وانا على يقين انها صدقت كل شىء قلته لها · لكن لسوء الحظ كان لديها قصور فى خيالها ، ولم تكن لتستطيع أن ترى فى الطفلين الا جمالهما واشراقهما واجتهادهما ، وكانت مشاعرهـا تعتمد فقط على ماتستطيع رؤيته · وبالتالى فلو ان كوينت والآنسة جيزيل كان لهما تاثير واضح على مايلز وفلورا

فلم تكن السيدة جروز لتستطيع أن تلحظه بالطبع ، والا لكان سلوكها قد تغير ·· لقد عرفت ماكانت تفكر فيه · لقد كان كل ما تستطيع أن تفعلـــه هو أن تمد ذراعيهـا البيضاوين أمامهـــا وتنظر الى الطفلين فى هدوء **وتقول لنفسها :** « حسن ، حتى لو تحطمت طيبتهما ، فان شظايا هذا التحطم ستبدو لى على مايرام » ·

وبمرور الوقت ، دون وقوع أى حادث له اثره ، فقد قررت أن الطفلين يمكن أن يقوما برعاية نفسيهما ، وكرست كل عواطفها الآن لتلك الحالـة الحزينـــة التى انتابت مربيتهما ·

فى مساء اليوم التالى أخرجت مقعدين الى الشرفة الموجودة أمام الباب الخارجى ، ودعوت السيدة جروز للجلوس معى · كان مايلز وفلورا يقرآن فى الحديقة على مبعدة قصيرة منا · نظرت اليهما كما تفعل عادة ، ثم التفتت الى كما لو كان من واجبها أن تحاول رؤيتهما لما رأيتهما أنا · كانت على استعداد لسماع آخر أخبارى ·

- ١٣ -

أخبرتها بكل ماحدث فى الليلة السابقة · وفى النهاية قلت لها : « ان كلماته الأخيرة لى ، هـــى أهـــم الكلمات جميعا بالطبع فلقد حسمت الموضـــوع حقيقة · **فقد قال :** أرجو أن تفكرى فيما يمكن أن أفعله ! » قال ذلك ليبين لى أنه فى أحسن أحواله الآن · وهو يعرف تماما ماذا « يمكن أن يفعل » · ونلظر المدرسة يعرف أيضا . وذلك هو السبب فى طرده من المدرسة » ·

فصاحت السيدة جروز : اذن . فقد غيرت من رأيك !

ـ كلا ، أنا لم أغير رأيى ·· لكننى بدأت أفهم أكثر الآن · ان مايلز وفلورا يقابلان كوينت والآنسة جيزيل بصفة دائمة . ويمكنك التأكد من ذلك · ولو أنك كنت مع

أحد الطفلين فى تلك الليالى الماضية،لكنت ادركت ذلك أيضا · والشىء الذى يجعلنى متأكدة تماما هو صمتهما التام · فلم ينطق أحدهما بكلمة أبدا عن كوينت أو الآنسة جيزيل · كما أن مايلز لم يتحدث اطلاقا عن مدرسته أو عن السبب فى طرده · والغريب جدا الآن أن الطفلين يلتزمان الصمت التام بخصوص أمور أو أناس يعرفان عنهم كل شىء ·· أوه ·· من الممكن بالطبع أن نجلس هنا ونتطلع اليهما ونعتقد أنهما على مايرام · لكن الحقيقة هى أن مايلز لايقرأ لفلورا ، وأنت تعرفين ذلك · هو يتظاهر فقط بالقراءة انهما يتحدثان عن صديقيهما الميتين ، اللذين عادا اليهما ! انه يحكى لها عما رأه الليلة الماضية ! · أنا أعرف أننى أتكلم ، كما لو كنت امرأة مجنونة · لكن الأشياء التى رأيتها جعلت الأمر واضحا تماما بالنسبة لى ، وجعلتنى أفكر فى أمور أخرى كذلك » ·

· لم تعرف السيدة جروز ماذا تقول · وأبقت بصرها على الطفلين كما لو كانا سيناداها · **ثم قالت :** « ماهى الأشياء الأخرى التى فكرت فيها ؟ » ·

فأجبت : « انها تلك الأشياء التى اسعدتنى وشغفت بها ، وفى نفس الوقت هى الأشياء التى حيرتنى وأتعبتنى · ذلك الجمال الفائق الذى يتسم به الطفلان ، وذلك الأدب والسلوك الزائد عن الحد ··· »

ضحكت وتوقفت ، **ثم واصلت كلامى :** « أعتقد أنهما لعبة ، خطة لخداعنا » ·

نظرت مباشرة الى الطفلين **وقالت :** « هل تعنين أنهما يخدعاننا » ؟

ـ نعم ، رغم أنهما مجرد طفلين ، وذلك بالضبط ما أعنيه ، وأنا أعرف أن ذلك يبدو نوعا من الجنون · كان من السهل أن نتعايش معهما ، لانهما ببساطة يعيشان حياتهما بطريقتهما · انهما لايخصانى ·· لايخصاننا · هما يخصانه ويخصانها !!

ـ تقصدين كوينت وتلك **المرأة** ؟

ـ نعم · الطفلان يودان الذهاب اليهما ·

فسألتنى السيدة جروز : « لكن لماذا ؟ يودان الذهاب اليهما » ؟

ـ لأنهما يحبان تلك الأفعال الشريرة التى علمها لهما كوينت وتلك المرأة فى تلك الأيام المزعجة · ثم عاد الاثنان ليعلماهما المزيد ، ليواصلا عملهما الشيطانى !

نظرت الى ، ويبدو ان الذكريات اضاءت وجهها · لم تعترض على كلماتى **وقالت :** نعم ، لقد كانا زوجا من الشياطين فعلا ! لكن ماذا بامكانهما ان يفعلا الآن ؟ فكلاهما ميت !

ـ ان يفعلا ؟ !

قلت ذلك بصوت مرتفع حتى ان مايلز وفلورا التفتا الينا · **بعدها قلت بصوت أهدأ :** « الم يفعلا مافيه الكفاية ؟ ان بامكانهما ان يحطماننا !

وبدا من الواضح انها لم تفهم ذلك ، لأنها لم تقل شيئا · توقفت للحظة **ثم واصلت كلامى :** « فى تلك الأيام الماضية ، لم يكن كوينت والمرأة يعرفان الى اى مدى يمكن أن ينجحا ، لكنهما كانا يحاولان جهدهما · وفى الوقت الحالى يظهران للطفلين من على بعد ، فى الأماكن

المفتوحة ، خارج النافذة ، فوق قمة البرج ، على الجانب الآخر للبحيرة · وخطتهما أن يقربا المسافة ويتغلبا على كل الصعاب · والطفلان شغوفان بمساعدتهما ، وهكذا فان نجاح هذين الشيطانين انما هو مسألة وقت فقط · ولسوف يواصلان ذلك ليوحيا بأن الشر والخطر وشيك الوقوع »

ـ وهل تعتقدين بأن الطفلين سيذهبان اليهما ؟

ـ نعم · وستكون تلك هى النهاية !

نهضت السيدة جروز ببطء ، **فاضفت قائلة :** الا اذا استطعنا منعهما بالطبع !

وبدأت تقلب المسألة فى رأسها وهى واقفة أمامى ثم **قالت :**

ـ «يجب أن يمنعهما عمهما · ينبغى ان يأخذهما بعيدا عن هنا » ·

سألتها : « ومن الذى سيجعله يفعل ذلك ؟ »

ـ أنت ، يا آنسة ؟

ـ كيف ؟ بأن اكتب له رسالة اقول فيها ان بيته مسمم باشياء شريرة وان ابن وبنت اخيه شريران ايضا ؟

ـ لكنك تقولين انهما كذلك ، يا آنسه !

ـ ستكون هذه أخبار مزعجة ، حتى نبعث بها الى شخص وضع ثقته فى · وتذكرى أننى وعدته مخلصة بالا ازعجه ·

قدرتْ السيدة جروز الموقف وقالت : « أجل ، أعرف انه يكره الازعاج · وذلك هو السبب فى ··· »

ـ فى أن كوينت والمرأة قد خدعاه لفترة طويلة ؟ أجل ، كنت أشعر بذلك · لكننى لن اخدعه !

ـ هل فى امكانك ان تجعليه يحضر الى هنـا ، من اجلك ؟

ـ من اجلى ؟

وفجأة خشيت مما يمكن ان تفعله ·

ـ نعم · ينبغى أن يحضر الى هنا · ينبغى ان يحضر لمساعدتك ·

فنهضت بسرعة وقلت : « كلا ! لن أطلب منه أن يحضر لزيارتنا · فلسوف يضحك من افكارى ويسخر من ضعفى ·· وبالاضافة الى ذلك كله ، سوف يعتقد أننى تعبت من وجودى وحدى ، وأننى قد اخترعت هذه الأشياء حتى أجعله يحضر الى هنا » ·

فلا أحد كان يعلم ـ ولاحتى السيدة جروز ·· كم كنت فخورة حتى أقوم بخدمته ، وكم كنت مصممة على الالتزام باتفاقنا · لذا فقد فكرت أنه من الضـــرورى أن أحذرها فقلت لها : « اذا كانت الحماقة قد وصلت بك الى الحـد الذى تطلبين منى أن أجعلـــه يحضر الى هنا من أجلى ··· »

فارتعبت حقيقة وتســـاءلت : « نعم ، ياآنسة ؟ »

ـ فلابد أن اغادر « بلاى » على الفور وبلا رجعة !!

- ١٣ -

خلال الشهر التالى زادت احدى مشاكلى وأصبحت أكثر سوءا · فلم أعد أستطيع الكلام مع الطفلين بمثل تلك السهولة التى كانت تحدث من قبل ·

فخلال مناقشاتنا أصبح هناك موضوع لانستطيع الاقتراب منه يمثل جدار جبيننا ، وكان الطفلان على وعى تام بذلك بنفس القدر ، الذى أعيه أنا · وعندما كنا نقترب من هذا الجدار أثناء كلامنا ، كنا نتوقف فجأة ، ويبتعد كل منا عن الآخر ·

كان الموضوع الممنوع الكلام فيه هو كل ما يتعلق بحياة الطفلين قبل أن أحضر الى « بلاى » ، ومدرسة مايلز ، وبصفة عامة كل كلام يتعلق بالموت أو عودة الموتى

·· ولا أعتقد أننا استطعنا أن نتجنب هذه الموضوعات بنجاح كبير دون اعداد ترتيبات خفية بشكل كبير ·

ورغم أننى لم أتعرف على أى شىء من حياة الطفلين الماضية ، فقد كانا شغوفين جدا لمعرفة كل تفاصيل حياتى الخاصة ، وان اتحدث اليهما عن طفولتى وبيتى الذى كان خارج نطاق مشاكلى الحالية ·· وقبل أن ينتهى الشهر كانا يعرفان كل شىء حدث لى ولأخوتى وأخواتى حتى ماحدث لقطتنا وكلبنا · تحدثنا عن عادات ابى المسلية ، وعن ترتيب الأثاث فى بيتنا ، وعن عجوز قريتنا وأحاديثها ·· لكان لدى الكثير لأقوله ، وكان الطفلان يشجعانى على تذكر كل تفصيلة صغيرة من تفصيلات الماضى ·

وبعد ذلك ، عندما كنت افكر فيما كان يحدث فى هذه المناسبات ، كنت احس بالشك فى نيتهما ، وأحسست بأنهما كانا يراقبانى طوال الوقت فى سرية ·

وهكذا مرت الأيام ، ولم اعد ارى أيا من كوينت أو الآنسة جيزيـــل · رغم وجود امـــاكن مظلمة عديدة فى

· بلاى » كنت أتوقع ظهور كوينت فيها ، كذلك فقد كانت هناك مناسابت عديدة ملائمة لظهور الآنسة جيزيل مـرة ثانية · وانتهى فصل الصيف ، وانعكس لون الســماء الرمادى على المكان كله ·

كانت الحديقة بممراتها الخالية ، والأوراق الجافـة المتناثرة فى كل مكان ، بمثابة مسرح حال بعد انتهـاء العرض · بمعنى أن الظروف كانت مهيأة تماما لعودة زوارنا ، وكان فى امكانى أن أعرف المكان وفى أى وقت من اليوم ، وأين يمكن أن نتقابل · لكننى لم أرى شـيئا لا فى داخل البيت أو خارجه ، لم أكن ارغب فى رؤيته ·

من الغريب فعلا قول ذلك ، لكننى كنت منزعجة الى حد ما من عدم ظهور كوينت والآنسة جيزيل مرة ثانية · وأرجعت فشلى فى عدم رؤيتهما ربما بسبب فقدانى لقدرتى على رؤيتهما · وعندما عبرت عن مخاوفى للسيدة جروز ، فيما يتصل بالآنسة جيزيل حيرها ذلك ، لكننى لم أفصح عنها · أما عن الحقيقة فكانت كالتالى : أنه لم يثبت بعد بالتأكيد أن الطفلين استطاعا حقيقة رؤية كوينت أو الآنسة

جيزيل ، كما رايتهمـــا انا ، وحتى اتاكد من ذلك ، فقد فضلت ان تكون لدى صورة كاملة عن الموضوع كله · فقد كنت اريد ان ارى وان اعرف اسوا مايمكن رؤيته او معرفته فى « بلاى » ·

اما عن الوقت الحالى فلم يظهر الى الآن شىء يمكن رؤيته · وودت ان اشكر الله على كرمه ، لكن كانت تحول دون ذلك عقبة واحدة · فكم كنت اود ان اشكره من صميم قلبى لو تاكدت تماما من ان الطفلين لايشاركانى هم ذلك السر ·

كيف يمكننى ان اصف اليوم المراحل التى تطور بها هذا الاحساس فى ذهنى ؟ · كانت هناك اوقات كنت على استعداد لأن اقسم بأن كوينت والآنسة جيزيل كانا معنا فى حجرة الدراسة · وفى اوقات اخرى لم يكن فى مقدورى ان ارى زائرينا ، بل احس بوجودهما فقط · احيانا كنت اود ان اصرخ : « انهما هنا ، انهما هنا ، لابد ان يعترفوا بذلك الآن ! » لكن صرخة غضب مثل هذه ، قد تسبب من الضرر اكثر مما هو خير ، وبالتالى لم اقل شيئا · كما ان الطفلين لا يعترفان باى شىء كذلك ·

لقد صدمت بشـــدة عندما اكتشفت وجود ما يلز فى الحديقة ، ينظر الى قمة البـرج ، فى الســـاعة الواحدة صباحا · والمهنى هذا الاكتشاف بفكرة جديدة ، وذات مرة او مرتين كدت ان اواجه الصبى بالسؤال مباشرة · كنت اغلق باب حجرتى على نفسى لأفكر فى افضل سبيل لطرق الموضوع · لكنى دائما كنت اتخلى عن التفكير فى المشكلة عندما اتيقن انه يتحتم على ذكر الأسماء · كانت هذه مشـكلة لطيفة للغاية ، فقد كان نقاشى مع نفســى ينتهى دائما بهذه الكلمات ، « ان الطفلين على قدر كبير من الأدب بما يسمح لهما بان يظلا صامتين ، لكن انت ، مربيتهم الموثوق فيها ، اسلوبك سيىء فى الكلام » ·· وكان وجهى يحمر من الانفعال ، وسرعان ما اطرح نفسى فى الفراش ،

بعد هذه المشاهد الخاصة ، اخذت اتحدث الى تلميذى بحرية على قدر ما استطيع · وسارت حياتنا بشكل عادى حتى ·· حتى شعرت ثانية بذلك الجمود الغريب ، ذلك الصمت · لكنه لم يكن صمتا ولاسكونا ·· كان يتجسد فى الحقيقة على هيئة ضحكة عالية ، او مناقشة حامية ،

أو عزف نغمة موسيقية بطريقة حادة · وعرفت بعد ذلك أن كوينت والآنسة جيزيل كانا موجودين لكن دون أن يراهما أحد · واضطربت خوفا من أن يجدا سبيلا لارسال بعض الرسائل المزعجة الى الطفلين دون علمى ·

كان أسوأ ما اخشاه فى الحقيقة ، انهما قد يكونا رايا اكثر مما رايته انا ، رايا أشياء سيئة لم أستطع انا حتى أن اتخيلها · ولاشك اننا كنا جميعا ينتابنا شىء من الخوف أحيانا ، وكنا نبذل جهدنا فى اخفاء ذلك ·

وحتى نضع نهاية لهذه الأوقات العصيبة ، كان الطفلان يقبلانى ، وكان احدهما أو الآخر يوجه الى السؤال الأثير · وكان ذلك السؤال هو الذى يساعدنا فى التغلب على الكثير من هذه اللحظات المتجهمة : « متى تعتقدين أنه سيحضر ؟ و « أنه هذا » ، كان بالطبع عمهما الذى يقطن فى شارع هارلى ، وكنا نعيش على أمل أنه قد يحضر فى أى لحظة · ولم يحدث أبدا ان قال أو كتب كلمة تدعم هذا الاعتقاد ، بل ان ذلك لم يخطر على باله اطلاقا ·

ولا أعتقد انه كتب للطفلين أبدا · ربما تكون هذه انانية منه ، لكنها بالنسبة لى نوع من الثقة التامة فى · وفى مقابل ذلك فقد حملت مسئولية اتفاقنا كاملة ، ولم أكتب اليه ·· وقلت لتلميذى ان خطاباتهما له ستكون مجرد تمرين مفيد فى قواعد اللغة الانجليزية · وأضفت أن خطاباتهما كانت فى منتهى الجمال حتى تشوه بخاتم البريد · واحتفظت بها جميعا لنفسى ، ومازالت لدى حتى اليوم ·

وعندما أعود بفكرى الى تلك الأيام الغريبة ، تصيبنى الدهشة ، لأننى لم أفقد صبرى مع الطفلين · فلقد أحسست يقينا انهما يخدعانى ، ورغم ذلك مازلت أحبهما ! ولا أستطيع القول كم سيستمر ذلك الشعور ، حتى لو لم أصل الى نوع من الراحة · وأنا أطلق عليها راحة ، لكنها كانت ذلك النوع من الراحة التى تأتى طفرة واحدة عندما تضيق الأمور ·· وأخيرا حدث التغيير وجاء بكل اندفاع وقوة !

- ١٤ -

فى صباح يوم احد كنت انا ومايلز فى طريقنا الى الكنيسة · وكانت السيدة جروز وفلورا الى جانبها تتقدمنا

كان يوما باردا لا سحاب فيه كان يوما من تلك الأيام الأولى التى تنبىء بقدوم الشتاء ·

كنت افكر فى مدى سعادتى بان التلميذين كانا مثالا للأطفال المطيعين · كنت الازمهما طوال اليوم ، وكل يوم فلماذا اذن لم يتبرما من ذلك ؟ ومايلز على وجه الخصوص ربما يفكر الانسان ـ قد يكره أن يكون مراقبا من قبل مربيته طوال الوقت · فقد كنت بمثابة حارس مكلف بحراستهما لمنع اى احداث مفاجئة أو محاولة للهرب ·

كان مايلز يرتدى افضل حلة ، صنعت خصيصا له

عند الحائك الخاص لعمه · وبدا معتزا بنفسه وكانـــه شاب ناضج يعتمد على نفسه ، وعلى وعى تام بكافـــة حقوقه وواجباته · لدرجة اننى احسســـت لو انه فجاة طالبنى بحريته ، فلن يكون بامكانـــى ان اقـــول شيئا · وللصدفة الغريبة كنت اتساءل فى هذه اللحظة فى كيفية مواجهة مثل هذا الموقف ! وتكلم مايلز ، وكنت انا على استعداد لمواجهة الموقف وجها لوجه ·

قال بطريقته الجذابة : « اسمعى ، ياعزيزتى ، متى ، ارجوك ، ساعود ثانية الى المدرسة ؟ »

والكلام الذى قاله وكما هو مدون هنا لا يبدو فيـه اذنى ضرر ، وقد قال مايلز الكلمات بطريقته اللطيفـة ، وبصوته اللامبالى الذى كان دائما مايجيب به على اسئلتى توقفت فجاة ، كما لو أن شجرة من اشجار الحديقة قد سقطت عبر الطريق · وتحققـــت على الفور بأن هنـاك شيئا جديدا بيننا ، وعرف مايلز فى الحال اننى تحققت من ذلك · وعرف ايضا انه قد كسب نقطة ضدى ، لأننى فى البداية لم أستطع التفكير فى شىء اقوله ·· وحقيقة كنت

متى ساعود الى المدرسة ·· ؟

بطيئة جدا فى الرد عليه حتى انه كانت لديه الفرصة ليواصل كلامه : « الا ترين ، انه من اللطيف جدا ، أن يكون الانسان بصحبة سيدة بشكل دائم ؟ »

وكان ينبغى على ان اكون حريصة فيما اقول · واذكر اننى حاولت ان اضحك لكى اكسب بعض الوقت ، لكننى اعتقد انها كانت ضحكة غريبة وقبيحة · ثم قلت : « ودائما مع نفس السيدة ؟ »

لم يظهر اى تغيير فى ملامح وجهه ، لكن السر لم يعد سرا بعد · قال : « آه ، وبالطبع فهى سيدة رائعة ، لكن على اى حال فانا انسان ·· حسن ، ناضج » ·

فاسقط فى يدى وقلت : « اجل ، انت انسان ناضج » · ·· ولم استطع التفكير فى شىء آخر اقوله او افعله ·

ويبدو انه عرف انه قد اسقط فى يدى فقال : « وبالتالى لاتستطيعين ان تقولى باننى لم اكن انسانا جيدا ، هل فى امكانك ؟ »

كان الوضع سيكون افضل لو اننا كنا واصلنا السير ،

لكننى لم اكن قادرة تماما على فعل ذلك : « كلا ، لااستطيع ان اقول ذلك ، يامايلز » ·

ـ فيما عدا تلك الليلة بالذات !

ـ أوه ؟ اى ليلة تلك ؟

ـ « عندما نزلت الى اسفل ـ وخرجت من البيت » ·

ـ « أوه ، نعم · لكننى نسيت ، لماذا فعلت ذلك » ·

ـ « نسيت ؟ » ··

وكان فى صوته رنه لوم خفيفة · واكمل :

« حسن ، لقد فعلت ذلك لمجرد ان اريك اننى استطيع فعل ذلك » !

ـ اجل ، هذا صحيح ـ انت تستطيع ·

ـ واستطيع أن افعله مرة ثانية ·

ـ بالتاكيد تستطيع · لكنك لاترغب ·

ـ كلا · انا لا ارغب فى فعل ذلك ثانية !

بدأنا نواصل السير ، فاكمل كلامه · « اذن متى ساعود الى المدرسة » ·

سالته : « هل كنت سعيدا جدا فى المدرسة » ٠

فكر للحظة : آوه ، انا اكون سعيدا بما فيه الكفاية فى اى مكان !

فاجبته : حسـن اذن ، مادمت تشعر بالسعادة هنا ٠

ـ « آه ، لكن ليس هذا هو الشىء الأساسى ، انت بالطبع فى استطاعتك ان تعلمينـــى كثيرا ، لكن ٠٠٠ » وتوقف :

ـ حسن ، ماهو الشىء الأساسى ؟

ـ هو أننى ، أريد أن اتعرف على مزيد من الحياة ٠

ـ فهمت ، فهمت !

كنا قد اصبحنا فى تلك اللحظة أمام الكنيسة ٠ وكان هناك العديد من الناس ، ومن بينهم بعض خدم « بلاى » يقفون عند الباب ، ينتظروننا لندخل ٠ بدأت اسـرع فى المشى ، فقد كنت أريد أن ادخل الى الكنيسة قبل أن يستطيع قول اى شىء آخر ٠ ففى الكنيسة سوف يلتزم الصـمت

لمدة ساعة او تزيد وفكرت بسعادة فى تلك الأضواء الخافتة بالداخل وتلك الراحة ونحن على مقاعدنا ٠ كنت كمن يجرى فى سباق بنوع من الضيق ، وقبل أن ندخـــل الى فناء الكنيسة **قال فجأة** : أريد أن اكون مع الناس مثلما اكون مع نفسى !

قفزت خطوة الى الامام **وقلت :** « ليس هناك الكثير من امثالك ، يامايلز ! » ثم ضحكت **واضفت :** « هناك فلـورا بالطبع !

ـ أتقارنين بينى وبين بنت صغيرة ؟

شعرت بالضعف : « لكنك تحب فلورا ، اليس كذلك ؟»

فقال : « وأنت أيضا ، لكن لو لم ٠٠٠ ، لو لم ٠٠٠ » واخذ يرددها ٠ وتصورت انه سوف يخبرنى ، لكنه لـم يكمل تصورى ٠ كانت السيدة جـــروز وفلورا قد دخلتا الكنيسة ، وتبعهما الآخرون ٠ ووجدت نفسى انا ومايلز وحدنا بين القبور القديمة ضغط على ذراعى ، وتوقفنا ٠

ـ اجل ، اذا لم ٠٠

تطلع حواليه فى المقابر : « حسن ، أنت تعرفين » وبعد مضى لحظة قال شيئا جعلنى أجلس لاستريح فوق أقرب مقبرة : « هل يفكر عمى فيما تفكرين فيه ؟ »

– وكيف يتسنى لك أن تعرف ما أفكر فيه ؟

– آه ، بالطبع ، أنا لا أعرف · فانت لم تخبرينى قط · لكن ما أقصده هل هو يعرف ؟

– يعرف ماذا ، يامايلز ؟

– أننى لم أعد الى المدرسة منذ الاجازة ·

– أنا لا أعتقد أن عمك يهتم بذلك كثيرا ·

– اذن . ألا تعتقدين اننا يمكن أن نجعله يهتم ؟

– كيف يمكننا فعل ذلك ؟

– بأن نجعله يحضر الى هنا !

– ومن الذى سيجعله يحضر الى هنا ·

– أنا !!

قال الصبى ذلك بكل تصميم ومشى مبتعدا عنى ودخل الكنيسة ···

– ١٥ –

لم يكن باستطاعتى ابدا ان اتبعه · فجلست هناك فوق القبر أحاول فهم معنى ماقاله لى ·· تحيرت فى تفسيره لمدة طويلة حتى اننى لم أستطع أن اذهب الى الكنيسة على الاطلاق ، لكن بمرور الوقت وضح فى ذهنى كل شىء وكذلك المبررات التى يمكن اقدمها · فمن الممكن أن أقول اننى لم ادخل الى الكنيسة بسبب تأخرى جدا · ولايصح للمربية أن تكون قدوة لتلاميذها فى التأخير ·

كان من الواضح بالنسبة لى ، أن مايلز قد كسب نقطة أخرى ضدى · فقد يفسر عدم ذهابى الى الكنيسة لحالة الضيق التى انتابتنى بعد نقاشنا ، وهذا يرجح كفته · ربما يظن اننى خائفة من شىء ما ، ومن المحتمل أن يستفيد من خوفى لكسب المزيد من الحرية لنفسه ·

كان خوفى اننى قد اتعامل معه على اساس انه مفصول من المدرسة • وكان ذلك شيئا مزعجا بالنسبة لى لأننى كنت متأكدة أن كوينت له صلة بذلك الموضوع • ولو ان السيد حضر الى « بلاى » لمناقشة هذا الموضوع معى ، فربما أرحب بمساعدته فى هذا الشأن • لكنى كرهت التفكير فى ذلك ، وأردت فقط أن أؤجل السؤال • وانه لمن سوء حظى أن يكون مايلز على صواب ، لأنه لم يعامل بالطريقة المناسبة • وكان له كل الحق ليقول لى : ان دراستى بالمدرسة قد اضطربت ، فاما أن تكشفى عن هذا اللغز لولى امرى ، واما أن تعاملينى كما يجب أن يعامل الصبى • » •• وعندما تحققت من ذلك ، فاننى تأكدت كذلك بالاضافة الى اننى صدمت ، من أن مايلز قد رتب خطة •

كان هذا التحقق هو الذى منعنى من الذهاب الى الكنيسة • سرت ببطء حول مبنى الكنيسة ، مترددة متحيرة • كان يعرف اننى فى ورطة واننى لا أستطيع مساعدة نفسى • لقد كانت بيننا فجوة ، فالأمور أصبحت مختلفة تماما عن ذى قبل • وكانت مسألة اللحاق به

وجلوسى الى جواره على كرسى العائلة فى الكنيسة بمثابة عبء ثقيل على نفسى • ولأول مرة منذ أن عاد الى البيت من المدرسة ، كنت أريد أن أبتعد عنه •

توقفت بالخارج عند النافذة الشرقية وأخذت أصغى الى الصلوات • وواتتنى فكرة : « لماذا لا أهرب ؟ فهذه فرصة رائعة •• لن يكون هناك أحد ليستوقفنى • يمكننى أن أحزم أمتعتى •• واعود ادراجى وأهرب • كل ماعلى أن أسرع عائدة الى البيت وألتقط أشيائى القليلة • فكل الخدم تقريبا موجودين بالكنيسة ، ولن يرانى أى أحد كذلك لن يلومنى أحد اذا ما تركت المكان • ليست هناك فائدة ترجى من غيابى لعدة ساعات ؟ ينبغى على الرحيل الى الأبد ، والا فلا داعى لذلك اطلاقا • لو اننى قابلت الطفلين مرة ثانية على مائدة العشاء بعد عدة ساعات قليلة ، فسوف يتظاهران بانهما صدما ، واستطيع تصور ماسيقولانه • « ما ذلك الذى فعلته ، أيتها السيدة السيئة؟ لماذا تسببت لنا فى كل هذا القلق ؟ •• ولن استطيع الاجابة على مثل هذا السؤال ، ولا استطيع أن أنظر الى وجهيهما

الجميلين عندمـا يسالان هذه الأسئلة · هذا بالضـبط مايتحتم على أن افعله لو أننى بقيت فى البيت ·

غادرت فناء الكنيسة على الفور ، وعدت مسرعة خلال الحديقـة الى « بـلاى » ·· وفى الطريق اخذت اتدبر الموضوع مرة ثانية ، وفى الوقت الذى وصلت فيه الى البيت كنت قد قررت أن اغادره · كانت فرصـة عظيمة بالنسبة لى أن افعل ذلك · كان البيت هادئا جدا ولم اقابل أى احد · لو أننى غادرت المكان على هذا النحو ، فلن تكون هناك أى مشاكل ، ولا كلمات غاضبة ، ولا وداع حزين · لابد أن أسرع بالطبع ، وأن أحصل على عربـة تنقلنى الى المحطة ·

وفى الصالة باغتتنى صعوبة الحصول على عربة ، فجلست على احدى درجات بداية السـلم · وشـعرت بالاجهاد والوهن ·لكن ذكرى شهر مضى جعلتنى أجلس معتدلة ·

لقد كانت هنا ، على نفس درجة السلم فى الظلام ، هنا حيث رأيت تلك المراة المرعبة ، التى بدت فى تلك اللحظة

وكانها مثقلة بالشر كما كنت انا مثقلة بمشـاكلى الآن · وقفت وصعدت باقى درجات السلم ··

اتجهت ناحية حجرة الدراسة حيـث كان لى بعض الأشياء فيهـا أردت أن آخذها معى · فتحت البـاب ، واكتشفت فى ومضة اننى لم افقد قوتى لرؤية الأرواح الشريرة · واشتعلت مقاومتى مـرة ثانية وكانها لهيب بداخلى ·

فى وضـح النهار كانت هناك امـراة جالسة على منضدتى ! ·· ولو لم اكن رأيت الآنسة جيزيل من قبل ، لقلت انها احدى الخادمات تستريح بعد تنظيف الحجرة · كانت يداها تدعمان راسها ، والاجهاد يبدو واضحا عليها جدا · وعندما دخلت الحجرة ، لم تتحرك ، لكن بعد مضى لحظة غيرت وضعها بهدوء ، ثم بدت لى تماما مثلما رأيتها فى المرتين السابقتين ·

نهضت ·· لكن ليس لأنها سمعت خطواتى ·· لكنها نهضت كما لو أن حزنها كان هو الشىء الوحيد الذى تعرفه

كانت المربية السابقة تقف على بعد اثنى عشر قدما منى ، صورة من الخديعة · نظرت اليها عن قرب فرأيت شبحا يتشبح بالسواد ، شبحا أسود كسواد الليل · كان تعبيرها مزيجا من جمال حزين ويأس كامل · عندما تطلعت الى بدا فى عينيها كأنهما تقولان ان حقها فى الجلوس على منضدتى يساوى تماما حقى فى الجلوس عليها · وعندما مرت هذه اللحظات انتابنى احساس غريب بأن حقها كان اكبر من حقى بكثير · **قاومت ذلك الاحساس بقوة حتى أننى لم أستطع مقاومة صراخى : « انت ايتها** المرأة المرعبة ، ايتها المرأة البائسة ! » وسمعت كلماتى تتردد عبر الردهة وعبر البيت الخالى ··

نظرت الى كما لو انها قد سمعتنى · ثم أخذ شبحها يتلاشى بسرعة ويختفى · وفى اللحظة التالية لم يكن هناك شىء سوى اشعة الشمس ، واحساسى بأنه يجب على أن ابقى فى « بلاى » ··

- ١٦ -

عندما عاد الآخرون من الكنيسة توقعت تماما أن اجيب على عدة أسئلة · لكن ما حيرنى ، وأدهشنى ان أجدهم قد التزموا صمتا حذرا · وبدلا من التانيب المرح لأننى لم الحق بهم فى الكنيسة ، لم يقولوا شيئا على الاطلاق بخصوص ذلك · وكذلك السيدة جروز ، كانت صامتة أيضا ، وخمنت من خلال تعبير وجهها أن الطفلين ربما قدما لها رشوة لكى تصمت ·

لكن قبل أن نتناول شاى مابعد الظهر فى ذلك اليوم، وجدت فرصة لأتكلم معها · كانت تجلس امام الفرن فى حجرة المطبخ · كان المكان قد نظف ومسح لتوه وتفوح فيه رائحة خبز طازج · استعدت هذا المشهد وأنا أكتب هذه الكلمات ·

فمازلت اذكر السيدة جروز وهى تنظر الى الفـــرن جالسة على مقعدها ذى الظهر المستقيم · **وقالت :**

ـ أوه ، أجل ، لقد طلبا منى الا أقول شيئا ، وحتى أسعدهما عندما كانا معى ـ فلقد وعدت بذلك بطبيعة الحال لكن ما الذى حدث لك ؟ »

قلت : « لقد ذهبت معكم فقط للتمشى · فقد كان يتعين على أن أعود ثانية الـى البيت لمقابلة صديق » ·

اندهشت : « صديق ؟ لا أعرف أن لك ··· »

ـ أوه ، نعم . لدى أصدقاء قليلون ·· لكن هل أعطاك الأطفال مبررا لعدم قول أى شىء ؟

ـ نعم ، قالا ان ذلك أفضل بالنسبة لك ·· هل تفضلين ذلك ؟ !

الا أن ملامح وجهى جعلتها تشك فى ذلك فقلت : « كلا انا افضل ماهو أسوأ » ! **لكننى أضفت بعد لحظة** : « هل قالا لك عن السبب الذى يجعلنى أفضل ذلك ؟ »

ـ كلا ، لكن سيدى مايلز قال ؟ **لاينبغى أن تفعل شيئا** سوى الذى تفضله ! ·

ـ حقيقة ، أتمنى أن يكون صـــادقا ! **ومـاذا قالت** فلورا ؟

ـ كانت فلورا فى منتهـــى اللطف عندما قالت : « أوه بالطبع ، بالطبع » ·· **وقلت انا نفس الشىء !**

فكرت للحظة : « وانت كذلك فى منتهى الظرف ـ لكن لايوجد أسرار بينى وبين مايلز الآن !

ـ « أسرار ؟ » ·

ونظرت الى متحيرة ·

ـ لايهم · فلقد قررت أن أعود الى البيت كان لدى حديث مع الآنسة جيزيل !!

وفى اللحظة التى ســـمعت فيها السيدة جروز هذه الجملة ، اتسعت عيناها ، **لكنها قالت فى هدوء تام :**

ـ حديث ؟ هل تقصدين انها تحدثت اليك ؟

ـ لقد تحدثت الى بوضوح تام بعينيها · عندما عـــدت الى البيت كانت تجلس على منضـــدتى بحجرة الدراسة !

ـ ما الذى تعتقدين أنها كانت تريد أن تقوله ؟

ـ انها تعانى من عقاب فظيع !

ـ أتقصدين ذلك العقاب ···

ولم تستطع المرأة المسكينة أن تكمل سؤالها ·

ـ ··· ذلك العقاب الذى وعد به الله الأشرار ! ·· ولهذا السبب فهى تريد أن ···

وترددت فى هذه اللحظة ولم أستطع مواصلة كلامى ، لكن رفيقتى بقصور خيالها شجعتنى على مواصلة الكلام ·

ـ أجل ، هى تريد ···

ـ هى تريد فلورا ·· **لكى تشاركها هذا العقاب !** · لكن وكما قلت لك ، هذا لايهم · فلقد اتخذت قرارى !

سالتنى : « ما الذى قررته ؟ »

ـ قررت أن أرسل الى عمهما ·

فصاحت قائلة : أوه يا آنسة ، افعلى ذلك · افعلى !

ـ **سافعل** ·· سافعل ! فهذا هو السبيل الوحيد الآن ·· **مايلز يعتقد أننى أخشى فعل ذلك ، ويأمل أن يحصل على كسب جديد من خلال ذلك** · لسوف يكتشف كم هو مخطىء اجل ، اجل ، سوف أخبر عمه ·· وفى حضور الصبى اذا لزم الأمر · انها ليست غلطتـى أن مايلز لـــم يعد الى المدرسة عندما ···

فهمست لى : « نعم ، يا آنسة » ·

ـ ··· وهناك مبرر فظيع !

واصبح هناك العديد من « المبررات » الواضحة للسيدة جروز ··

ـ لكن ·· اى ·· مبرر ؟ !

ـ ماذا ، ذلك الخطاب من ناظر المدرسة !

ـ وهل ستطلعين عمه عليه ؟

ـ كان ينبغى أن افعل ذلك عندما تسلمته ·

فقالت السيدة جروز بحسم : « كلا ، كلا · »

فواصلت كلامى : « ينبغى أن اشرح له ، باننـــى لن أستطيع تحمل مسئولية البحث عن مدرسة اخرى لطفـل سبق أن طرد ... »

فقالت بصوت عال : « لكن لماذا طرد ؟ »

ـ لسوء سلوكه .. ماذا غير ذلك ؟ .. فهو مجتهد وفى منتهى الجمال ؟ هل هو غبى ؟ هل هو غير منظم ؟ هـــل هو مدلل ؟ هل هو سيء المزاج ؟ كلا .. ليس فيه أى شيء من ذلك .. اذن فلابد أن يكون السـبب فى ذلك ســـوء سلوكه ، وفى الحقيقة فهذه غلطة عمهما ، لأنه ترك اناسا يعيشون هنا ، من امثال كوينت و ... »

فشحب لونها وقالت : « اوه ، لم يكن يعرفهمـــا فى الحقيقة . الغلطة غلطتى » .

فأجبتها : « حسن ، لن تعانى من ذلك . »

فقالت بحسم : « ولن يعانى الأطفال من ذلك »

وحدث صمت للحظة ، **وتطلعت كل منا للأخـــرى :** « اذن ، ما الذى ساقوله له ؟ »

ـ « لن تكونى فى حاجة لأن تقولى له أى شيء . سوف اخبره انا . »

ـ تقصين انك ستكتبين له ؟

ثم تذكرت انها لا تستطيع القراءة وبالتاكيد لايمكنها الكتابة . فاستدركت بسرعة : « وكيف ستخبرينه ؟ »

ـ ساقول لناظر الضيعة . وهو يكتب اليه .

ـ « وهل يرضيك أن يكتب هو حكايتنا ؟ »

وأبديت أسفى لهذا السؤال لاننـى لـــم اكن أود أن أجرحها . واندفعت الدموع الى ماقيها : « أوه ، يا انسة . اكتبى انت اليه ! » .

ـ « لا بأس .. الليلة » .

قلت ذلك ثم تركتها ...

- ١٧ -

شرعت ذلك المساء وانا فى حجرتى فى البدء بالكتابة فتناولت ورقة وجلست اكتب ، لكننى أخذت اتطلـــع الى الورقة طويلا ٠٠ تغير الجو ثانية ٠ وهبت ريـــح قوية واخذت تمطر بشدة ٠ كانت فلورا ترقد نائمة الى جوارى وبدت فى منتهى الوداعة فى سريرها الصغير ، وتساءلت عما اذا كان مايلز نائما هو ايضا ؟

نهضت وتناولت المصباح ٠ خرجـــت من الغرفة ٠ عبرت الردهة وانصت للحظة عند باب غرفة نومه ٠ كنت اتسمع لأى صوت يدلنى على انه كان متيقظا ٠ وفى اللحظة التالية سمعت صوتا ، لكنه لم يكن الصـــوت الذى كنت اتوقعه ٠ سمعت صوته ينادى : « عـــاى ، انـــت يامن بالخارج ٠٠٠ ادخل ! » ٠

دخلت والمصباح فى يدى فوجدته فى السرير · كان يقظا تماما ومبتهجا جدا · **سألنى :** « ما الذى تتجولين من اجله ؟ » ·

وقفت بالقرب من رأسه والمصباح فى يدى : « كيف عرفت اننى بالخارج ؟ »

ـ أوه ، سمعتك بالطبع · هل تظنين انك تسيرين فى هدوء ؟ ·· انت مثل مجموعة من الفرسان !

وضحك ··

ـ كنت اظن انك نائم ·

قال وهو يمد يده الى : « كلا ، كنت مستلقيا فقط ، افكر · »

وضعت المصباح بجواره على المنضدة ثم جلست على حافة السرير وقلت : « فى اى شىء كنت تفكر ؟ »

ـ افكر فيك بالطبع ·

ـ آه ، لطيف أن اعرف اننى اشغل فكرك · لكننى افضل ان تنام بالليل ·

ـ وانا افكر كذلك فى تلك الأمور الغريبة لكلينا ·

ولاحظت برودة فى يده القوية : « اية امور غريبة ، يامايلز ؟ » ·

ـ أوه الأسلوب الذى تتبعينه فى تربيتـــى · وكل مايتبع ذلك !

التقطت انفاسى لبرهة · واتضح لى من خلال ضوء المصباح انه يبتسم ·

وسألت : ماذا تقصد وبكل مايتبع ذلك » ؟

ـ أوه ، أنت تعرفين ·· انت تعرفين !

لم أستطع قول اى شىء لفترة · كان كل منا ينظر الى الآخر ، وكنت ما ازال امسك بيده · **ثم قلت :** « بالتأكيد سوف تعود الى المدرسة ، اذا كان ذلك كل ماتريده ·· لكن ليس مدرستك القديمة ، يجب علينا أن نبحث عن مدرسة اخرى ، مدرسة افضل ·· كيف كان يتسنى لى أن أعرف ان هذا هو السؤال الذى يقلقك ؟ فانت لم تقل لى ابدا · انت لم تتحدث عن ذلك الموضوع مطلقا ! »

كان يصغى الى باهتمـــام · وبدا بوجهـــه الجميل الأبيض الرقيق وكأنه طفل يرقد فى سرير بمســـتشفى · وعندما خطرت هذه الفكرة براســـى ، تمنيت أن أكـون الطبيب أو الممرضة الذى بيديه القدرة على شفائه · وعلى أى الأحوال ، من المحتمل أننى استطيع المساعدة ! · « هل تعلم انك لم تقل لى أبدا كلمة واحدة عن مدرســـتك ·· اقصد مدرستك القديمة ·· لم تذكر لى أى شىء عنها على الاطلاق ! » ·

لم يجب على الفور لكنه بدا متحيرا · تصورت انه كان يحاول أن يكسب وقتا · وانتظر كما لو انه يتوقع منى المساعدة ·

ثم قال أخيرا : « الم اقل لك أى شىء ؟ » ·

وكان هناك شىء ما فى صوته ، وفى تعبير وجهـــه عندما قال ذلك ·· جعلنى أحس بالألم فى قلبى · وتأكدت عند ذلك أن قوة التأثير المرعب كانت مسيطرة عليه · كان يحاول التظاهر بأن كل شىء على مايرام ، وانه ليس هناك شىء غريب أو غير عادى يحدث له · لكن قدراته

الذهنية كطفل وقوة احتماله ، لم تفلح فى أن تحجب هذا الادعاء ·

ـ كلا ، انت لم تقل لى أى شىء منذ اليوم الـذى جئت فيه الى البيت ·· لم تذكر لى أى شىء عن مدرسيك أو عن أصدقائك فى المدرسة ·· لم تقل لى ابدا عن أى شىء حدث لك فى المدرسة · لذلك فانت ترى اننى أعرف عنك القليل جدا أو عما يدور فى ذهنك واســـتطيع بكل صدق أن اقول ـ حتى تكلمت معى هذا الصباح ـ باننى لم أسمع ابدا كلمة عن حياتك ··

واحسست بكل تاكيد ان التاثير الخارجى ، الذى يرتبط بكوينت ربما كان يسمم حياته · وسهل هذا الاحساس المسألة بالنسبة لى ، فاخذت اعامله على انه شخص كبير ، أو على قـدم المساواة ·· وبناء على ذلك فقد **قلت لـــه :**

« كفت اعتقد انك تريد أن تمضى فى حياتك بالنحو الذى أنت عليه » ·

عندما قلت ذلك تغير لون وجهه قليـــلا · وعلى أى

الأحوال فقد هز رأسه ببطء وقال : « انا لا أريد ٠٠ لا أريد انا أود أن اهرب بعيدا ! »

ـ هل تعبت من وجودك فى « بلاى » ، ٠٠ ؟

ـ أوه ، كلا ، أنا أحب « بلاى » ٠٠ !

ـ طيب ، اذن ماذا ٠٠٠ ؟

ـ أوه ، أنت تعرفين مايريده صبى فى مثل سنى !

واحسست أننى لا اعرف بالضبط مثلما يعرف هو ٠ وكانت فرصتى لأكسب بعض الوقت الآن فسألته : « هل تريد أن تذهب لعمك ؟ » ٠٠ فهز رأسه مرة ثانية وقال : «آه ، هذا يجعل الأمور سهلة بالنسبة لك ٠ اليس كذلك ؟»

وكنت أنا التى تغير لونها هذه المرة على ما اعتقد ٠ وظللت صامتة للحظة ٠ ثم قلت : « لكنى لا أريد للأمور أن تكون سهلة » ٠

ـ لن تكون سهلة حتى لو رغبت ٠ لابد أن يحضر عمى الى هنا ولابد أن تطلعيه على كل شىء بالضبط !

فأجبت بشىء من القوة : « لو فعلنا ذلك ، فسوف يتحتم عليك أن تغادر « بلاى » بالتأكيد »

ـ حسن ، ألم تفهمى أن ذلك بالضبط هو ما أريده ؟ فعليك أن تقولى له ان تعليمى قد أهمل ٠ لابد أن تقولى له ذلك بشكل مبالغ فيه !

تكلم بجسارة ، وكنت أرد عليه بنفس الطريقة : « وما قدر الذى ستقوله له ، يامايلز ؟ هناك اشياء سوف يسألك عنها ! » ٠

فكر فى ذلك ثم قال : « محتمل جدا ٠ لكن أى أشياء ؟»

ـ سوف يسألك عن كل الأشياء التى لم تقلها لى ابدا ٠ فلابد أن يقرر ماذا سيفعله بالنسبة لك ٠ حيث لايستطيع أن يعيدك ٠٠٠

فقاطعنى : « لا أريد العودة ! أريد مجالا جديدا ! » ٠

قال ذلك بابتهاج ، بل بمرح ٠ لكننى تخيلت خيبة الأمل الكبرى لا حتمال عودته الى « بلاى » فى نهاية الثلاثة شهور ٠ وكنت على يقين أنه سيعود من مدرسته

الجديدة بنفس الادعاء ، والكلام المنمق ـ مع مزيد من عدم الأمانة · عرفت فى تلك اللحظة ، أنه لن يكون فى مقدورى ابدا تحمل ذلك ، وجعلنى ذلك افقد السيطرة على مشاعرى فاحطته بذراعى **وقلت :** « ياعزيزى مايلز ··· »

كان وجهى قريبا لوجهه فتركنى اقبله · **وقال :** « حسن ياسيدتى العزيزة ؟ ! » ·

ـ الا يوجد شىء ·· أى شىء على الاطلاق تريد أن تقوله لى ؟

استدار ناحية الحائط ورفع يده وتفحصها « لقد قلت لك ـ لقد قلت لك هذا الصباح » ·

وشعرت بالأسى الشديد لـه : « انت لا تريد منى أن اهتم بك · هل هذا كل شىء ؟ » ·

استدار وتطلع الى ، كما لو انه كان سعيدا بانني قد فهمته ، رغم دهشته الى حد ما · **ثم قال برقة :** « هذا كل شىء ·· ارجو أن تتركينى وحدى ! » ·

فارحته ونهضت ببطء · ويعلم الله اننى لم اكن اريد ازعاجه · لكن مشاعرى لم تطاوعنى فى تلك اللحظة بالا اهتم به لأنه طلب منى ذلك · كانت تلك هى الحال التى انا عليها عندمـا ادرت ظهرى عنه ، تاركة اياه ، فاقدة اياه · قلت له :

ـ « لقد شرعت فى كتابه خطاب لعمك الآن » ·

ـ حسن ، اكتبيه اذن !

انتظرت دقيقة : « ماذا حدث قبل ذهابك الى المدرسة ؟ ·· وماذا حدث اثناء وجودك هناك ؟ »

كان مايزال ينظر الى لكنه لم يجب على الفور · ثم ، وكانه لم يفهم ، **اخذ يردد : « ماذا حدث ؟ ! »**

ولأول مرة لاحظت اختلافا واضـــحا فى صـــوته · فأحسست بشكل مرهف أن لديه رغبة فى الكلام · وجعلنى ذلك اركع على ركبتى بجوار سريره وانتهز فرصة سنحت لمساعدته : « مـــايلز ، مايلز ، آه لو تعـــرف كم أود أن

أساعدك هذا كل ما أريد أن افعله · أنا لا أريد أن اسبب لك الما أو ضررا · أنا أريد فقط أن أساعدك ، أن أنقذك ! »·

بعد لحظة قصيرة تبين لى اننـــى تحدثت كثيرا · وتلقيت اجابة فى الحال ـ لكنها لم تصدر عن مايلز · انما جائت من خلال هبة ريح ثلجية باردة شرسة ··· اهتزت الغرفة ، كما لو أن النافذة قد انفتحت بعنف · وندت عن الصبى صرخة عالية ربما تكون صـــرخة فرح أو خوف فظيع · قفزت ناهضة ·· وكانت الحجرة مظلمة تماما · وبقى كل شىء فى الحجرة للحظـــات على ذلك النحو ، وتعودت عيناى على الظلمة · فلاحظت أن النافذة كانت مغلقة باحكام والستائر مسدلة عليها ·

فصحت : « لماذا ، انطفا المصباح ؟ ! »

فقال مايلز : « أنا الذى أطفأته ! »

- ١٨ -

فى اليوم التالى بعد انتهاء الدروس ، **قالت لى السيدة جروز فى هدوء :** « هل كتبت الرسالة ، ياآنسة ؟ »

ـ نعم ·· كتبتها !

لكنى لم أقل لها فى ذلك الوقت أن الخطاب معنون وجاهز لارساله للبريد ، وانه مازال فى جيبى · فقد كان هناك متسع من الوقت قبل أن يأخذه المرسال الى القرية ·

كان تلميذاى قد اديا واجبـاتهما بكل امتيـــاز هذا الصباح · ويبدو كما لو أنهمـــا قد قررا اداء واجبهما بشكل أفضل من المعتاد لاسعادى ·· وذلك على احتمال أننى قد اكون مازلت متضايقة من أحداث أمس · وكان مايلز بصفة خاصة مغرما بأن يُرينى كيف أن الواجب كان

سهلا بالنسبة له ليصفح عن ضعفى • كان هذا الطفل على ما أذكر ، يعيش حقيقة فى تضاد بين نوع من الجمال والبؤس ، لا تستطيع الكلمات أن تصفه • كان متفوقا فى كل شىء يفعله ، رغم أن أى شخص غريب قد يعتقد أنـه مجرد صبى صغير ساذج •

ولقد عرفته جيدا الآن ، ودائما ماكنت اتساءل عمـا فعله ليستحق الطرد من المدرسـة • كأن من الممكن أن أصدق ذلك ، ابان علاقته مع كوينت ، فقد تعلم كيف يستطيع تخيل الشر • لكننى رفضت أن أصدق ، دون برهان ، أنه قد قام بارتكاب أى فعل شرير ••

بعد الغداء فى ذلك اليوم المزعج بدأ يتصرف بشـكل مهذب تماما •• جاء الى وسـألنى ان كنت أود منـه ان يعزف على البيانو مدة نصف ساعة •• كان ذلك مثالا لسلوكه الجيد ، وذوقه الرفيع ، ونبله • وكان طلبه هذا يعنى نفس المعنى لو كان قد قاله لى : « ان الانسان المهذب لايحاول أبدا استغلال ميزة ما ليحصل منها على المزيد • أنا أعرف ما تقصدينه الآن ، أنت تعنين اننى اذا لم اسبب

وعزف كما لم يعزف من قبل •

لك مشكلة مع عمى ، فسوف تتوفقين عن الاهتمام بـــى ومراقبتى · ولن تجعلينى قريبا منك · سوف تدعينى أغدو وأروح كما أشاء · وعلى سبيل المثال ، ها أنا أقبل عليك الآن ! حقيقة أنا استمتع بوجودى معك · لكن فى نفس الوقت يجب أن يكون لى الحق فى التصـــرف بطريقتـــى الخاصة » ·

ولك أن تتخيل أى الأمرين أفضل ، أن أناقش ذلك معه ، أم أعود أدراجى ببساطة الى حجرة الدراسة ·· جلس الى البيانو القديم وعزف كما لم يعزف من قبل أبدا · وإذا كان هناك أحد يعتقد أنه ماهر فى تســـديد الكرة نحـــو الهدف ، فأنا أتفق معه تماما · أقول ذلك بسبب الوقت الذى ضيعته فى الانصات الى مايلز ، عندما كان يعزف على البيانو · كان يعزف فى منتهى الجمال حتى أننى كنت لا أعى شيئا سوى الموسيقى وتأثيرها على ·

وبدا الزمن وكأنه توقف · وعندما عادت الى حواس العادية ، شعرت أننى قد نمت على مكتبى · وبالطبع أنا لم أنم حقيقة ، لكننى فعلت ماهو أكثر سوءا ـ لقد نسيت ،

أين فلورا ؟ وعندما سألت مايلز واصل عزفه لمدة دقيقة · ثم قال : « لماذا ، كيف يتسنى لى أن أعرف ؟ » ثم ضـــحك فجأة ·

ذهبت مباشرة الى حجرتى ، لكن أخته لم تكن هناك ، وقبل أن أنزل الى الدور الأرضـــى ، فتشـــت فى الغرف الأخرى · وعندما لم أجدها ، ذهبت لأبحث عن السيدة جروز ، وأنا أشعر بالتأكيد أن الطفلة لابد أن تكون معها · كانت السيدة جروز تجلس كعادتها أمام الفرن فى حجرة المطبخ ، وأجابت على سؤالى بهزة خائفة من رأســها · فلقد كانت تعتقد أننى أخذت الطفلين معى عندما عـــدت الى حجرة الدراسة بعد الغداء · وكان من الطبيعى جدا أن تفكر على هذا النحو ، لقد كانت هذه هى المرة الأولى التى أدع فيها فلورا تغيب عن بصرى ، دون ترتيب سابق لذلك ·

قالت السيدة جروز : « ربما تكون مع الخدم ، يآنسة هل أذهب لأراها ؟ »

ـ أرجو أن تفعلى ، وأنا سوف أبحث عنهـــا عند

واجهة البيت ·· لابد أن نخفى قلقنا على قدر ما نستطيع · سوف نتقابل فى الصالة بعد عشر دقائق !

لكن عندما تقابلنا فى الصالة بالفعل . لم يكن هناك شىء لنقوله · وبدت السيدة جروز فى منتهى الجزع الآن ·

فسألتنى : « هل فتشت كل الغرف الموجودة فى الطابق الأعلى ؟ » ··

فقلت : « أنا لا أظن أنها فى البيت · انها على مبعدة من هنا · أعتقد انها خرجت ! » ··

ـ خرجت ؟ دون قبعة ؟

ـ أليست تلك المرأة دون قبعة دائما ؟

ـ اتظنين أنها معها ؟

فصرخت قائلة : « انها معها ! لابد أن نعثر عليهما »

كانت يدى فوق ذراع صديقتى ، فجذبتها ناحية الباب لكنها تحركت ببطء **وسألت :** « وأين سيدى مايلز ؟ »

ـ « أوه ، انه مع كوينش · من المحتمل انهما فى حجرة الدراسة » ·

ـ « أوه ·· » ولم تستطع أن تقول المزيد ، وثبتت فى مكانها غير قادرة على الحركة ·

واصلت كلامى : « لقد أوقعا بى فى شرك · نجحت خطتهما · فلقد اكتشف أروع وسيلة لشغلى على حين تكون هى قد خرجت » ·

ـ أروع وسيلة ؟ !

رددتها السيدة جروز بصوت متحير ·

ـ أو أسوأ وسيلة : والفرصة متاحة له الآن · لكن تعالى !

كانت تتطلع الى أعلى السلم بلا حول ولا قوة : « وهل ستتركينه وحده ··· »

ـ « وحده مع كوينت ؟ ـ أجل · فأنا لايهمنى ذلك الآن » ·

انتهت هذه اللحظات بأن أمسكت بيدى ، وما أن فعلت ذلك حتى منعتنى من التحرك : « لكن لماذا لاتهتمين ؟ هل ذلك بسبب الخطاب ·· »

وبدلا من ان اجيبها تحسست جيبى واخرجت الخطاب ورفعته امام نظرها · ثم خلصت نفســـى منها واتجهت لأضعه على المنضدة فى الصـــالة الكبيرة · **وقلت وانا عائدة اليها :** « سياخذه المرسال الى البريد » ··· وصلت الى باب الصالة وفتحته · خرجت ووقفت على الســـلم الخارجى ·

كانت رفيقتى ماتزال مترددة · من قبل كانت هنـــاك العاصفة بالليل ، وانقضى الصباح المبكر ، وبعد الظهر كان الجو كئيبا ومليئا بالسحب ، نزلت على درج السلم بينما كانت تقف على مدخل الباب · **سألتنى :** « الن ترتدى معطفك وقبعتك ؟ »

ـ كلا · فالطفلة خرجـت دون قبعـــة او معطف · لا استطيع الانتظار لارتدائهما ·· اذ كنت ستفعلين ذلك · فينبغى على أن اتركك · ويمكنك ان تبحثى عنها فى الطابق العلوى مرة ثانية !

فقـالت : « الطابق العلوى ؟ معهما ؟ » · واندفعت السيدة جروز لتنزل السلم لتذهب معى ·

- ١٩ -

اتجهنا الى البحيرة مباشرة · وكان الطفـــلان قد اصطحبانى مرة او مرتين فى نزهة بقارب قديم موجود على شاطىء البحيرة كان مخصصا لاستعمالنا ·

لم يكن ذلك المكان بعيدا عن البيت ، لكن فكرة انتابتنى بان فلورا ليست قريبة من البيت · فهى لم تهرب منى من اجل مغامرة بسيطة ·

احيانا كنت اسير انا وفلورا على ضفاف البحيرة ، ومنذ ذلك اليوم الذى ظهرت فيه الآنسة جيزيل هناك ، لاحظت الاتجاه الذى كانت الطفلة تفضل السير فيه اثناء نزهاتنا · فاسرعت انا والسيدة جروز الى ذلك الاتجاه ·

ـ نحن نتجه ناحية البحيرة ، ياآنسة · هل تظنين انها فى ···

وانتاب القلق رفيقتى مرة ثانية من جراء الفكرة التى طرأت على ذهنها ·

ـ فى المساء ؟ كلا · لا اظن ذلك · وعلى أى الأحوال فالبحيرة ليست عميقة جدا · أنا اعتقد أننا سنجدها فى المكان الذى رأينا فيه الآنسة جيزيل أول مرة ·· !

ـ عندما تظاهرت فلورا بأنها لم ترى ··

ـ أجل ·· وقد كنت دائما على يقين أنها تريد العودة الى هناك وحدها · وقد رتب لها شـــقيقها ذلك بعناية تامة ·

توقفت السيدة جروز عن السير ، **ووقفت ســـاكنة :** « هل تعتقدين حقيقة أن الطفلين يتحدثان عنهما ؟ »

فاجبت على الفور وبكل تاكيد : « انهما يقولان اشياء تصدمنا وتصيبنا بالاشمئزاز لو سمعناهما » ·

ـ واذا وجدنا فلورا هناك ··

ـ نعم ؟

ـ فهل تظنين ان الآنسة جيزيل ستكون هناك ايضا ؟

ـ أنا متاكدة من ذلك · وسوف ترين ؟

ـ أوه ، اشكرك !

وبدأت رفيقتى فى البكاء ورفضت أن تتحرك خطوة واحدة ·· وعندما تحققت من ذلك ، مضيت فى طريقى بدونها · لكن فى الوقت الذى وصلت فيه الى البحيرة كانت قد ادركتنى ووقفت خلفى · اعتقد انها قررت ، أنه مهما يحدث من مخاطر ، فمن الأفضل لها أن تواجهها معى افضل من أن تكون وحدها ·

وفتشنا فى معظم مياه البحيرة ، لكن لم يكن هناك أى اثر للطفلة على الضـــفة التى تقف عليهـــا أو على الضفة البعيدة · وتطلع كل منا للآخر ، وفهمت مايدور فى ذهنها من خلال عينيها ·

هززت راسى وقلت : « كلا ، كلا · لم تسقط فى الماء · لقد اخذت القارب » ·

وتطلعنا الى المكان الخالى المفترض أن يربط فيه القارب ، ثم أخذنا نتطلع عبر البحيرة مرة ثانية ·

سألتنى السيدة جروز : أين القارب اذن » ؟

ـ الحقيقة التى تؤكد أننا لانراه ، تثبت أنها قد أخذته لقد استعملته لتعبر الى الناحية الأخرى ، ثم عمدت الى اخفائه ·

ـ هل تعتقدين أن تلك الطفلة ·· استطاعت القيام بذلك وحدها · ؟

ـ هى ليست وحدها ، وفى ظروف مثل هذه لاتكون طفلة ، بل تكون امرأة ·· وامرأة ناضجة !

وأخذت اتطلع بعناية فى أرجاء الضفة الأخرى ، حتى اكتشفت مكانا من الممكن اخفاء القارب فيه · فأشرت لرفيقتى الى المكان ، **وقلت لها** :

ـ هل ترين مكانا صغيرا مكشوفا هناك ؟ انه فى الغالب مخبأ بجوار تلك الأشجار التى تقترب من حافة المياه · من المحتمل أن يكون القارب هناك !

ـ لكن اذا كان هو ، فاين الطفلة بحق الله ؟

ـ هذا بالضبط مايجب أن نصل اليه !

وشرعت فى السير تجاه الناحية الأخرى من البحيرة ·

سألتنى بصوت مضطرب : « هل سندور حول البحيرة كلها ؟ »

ـ بالتأكيد · لن يستغرق ذلك أكثر من عشر دقائق · وبالطبع كان سيستغرق وقتا أطول بالنسبة لفلورا ، لذا فقد فضلت أن تستعمل القارب ·

تبعتنى السيدة جروز ثانية ، وعندما قطعنا منتصف المسافة توقفت لكى تلتقط أنفاسها · كان مشوارا صعبا لأن الأرض لم تكن ممهدة والاعشاب قد نمت فى الممر ، وواصلنا السير بعد عدة دقائق ، وقمت بمساعدتها بقية الطريق · وعندما وصلنا الى ذلك المكان المكشوف على الشاطىء رأينا القارب على الفور ! ·· كان مخبأ ومربوطا الى السور المجاور للماء · وعندما أبصرت المجدافين السميكين القصيرين وهما موضوعان بنظام داخل

هامـــى ٠٠ !!

القارب ، تأكدت من أن ذلك يعد عملا مذهلا بالنســـبة لطفلة عمرها ثمان سنوات ، ومررنا عبر البوابة الموجودة فى السور وتخطينا الأشجار **وصاحت كلتانا على الفور :** « هامى !! » ٠

كانت فلورا تقف على مبعدة منا فوق العشب وتبتسم ، كما لو أن العرض الذى قدمته قد انتهى الآن ٠ لكن الشىء التالى الذى فعلته هو أن انحنت وانتزعت حزمة كبيرة من العشب الضار ــ كما لو انها قد حضرت الى هنا لهذا الغرض بالذات ٠٠ ووقفت فى انتظارنا وهى ماتزال تبتسم ونحن فى الطريق اليها ٠ ثم تقابلنا ، تقابلنا فى صـــمت تام !

كانت السيدة جروز هى أول من كسر هذا الصمت ٠ فركعـــت على ركبتيها ، واحاطت الطفلـــة بذراعيهـــا واحتضنتها بشدة ٠

ولم أستطع فعل شىء والموقف كذلك ، الا أن أراقب مايحدث ؟ راقبته بعناية فلاحظت ان فلورا كانت تنظر الى

مباشرة من فوق كتف رفيقتى · كان وجهها جادا فى تلك اللحظة ·· غادرته الابتسامة · وجعلنى ذلك احسد السيدة جروز على علاقتها البريئة بالطفلة ·

وطوال ذلك الوقت لم تقل كلمة · لكن النظرات المتبادلة بينى وبين فلورا أفضحت بوضـــوح تام أن كل المبررات لافائدة منها الآن ، وأخيرا نهضت السيدة جروز وظلت ممسكة بيد الطفلة ووقفت الاثنتان قبالتى ·

كانت فلورا هى أول من تكلم · نظرت الى رأســـينا العاريتين **وقالت فى دهشة مفاجئة :** « غير معقول ، أين قبعاتكما ؟ »

فاجبت على الفور : « انهما فى البيت ·· أين قبعتك »

فى تلك اللحظة عادت اليها سعادتها ثانية ، وارضاها هذا الرد · فواصلت كلامها : « وأين مايلز ؟ »

كان ذلك السؤال من قبلها بمثابة دعـــوة للقتال ، ومضت هذه الكلمات وكأنها سيف مشرع بالنسبة لى · وشعرت بحمل ثقيل من القلق ينتفض من فوق كتفى حتى **قبل أن أجيب :** « ساقول لك ، لو انك قلت لى ··· »

ولسبب ما توقفت عن الكلام · **وسألتنى :**

ـ اقول لك ماذا ؟ !

ورأيت مسحة من الخوف على وجه السيدة جروز ، لكن المسألة لم تعد تحتمل الصبر أكثر من ذلك · **فكان على أقول لها :**

ـ فلورا ، أين الآنسة جيزيل ؟ !

- ٢٠ -

كانت هذه هى المرة الأولى التى ذكر فيها ذلك الاسم بينى وبين الطفلة · وبدا وقع ذلك مثل تهشم لـــوح من الزجاج · كما بدت فلورا كما لو اننى ضربتها فى منتصف جبهتها · وندت عن السيدة جروز صرخة عالية ــ مثل صرخة انسان جريح ، واكتمل ذلك بصـــرخة منى بعد لحظات · قبضت على ذراع صديقتى وقلت : « انها هناك هناك !! »

كانت الآنسة جيزيل تقف على الضفة المقابلة للبحيرة تماما مثلما كانت تقف فى المرة الأولى · واذكر ، أن أول احساس انتابنى كان الحساسا بالفرح ·· بالفرح لأننى اخيرا قد وصلت الى برهان ، فلقد كانت هناك ، وهكذا فانا على صواب ·· ولست بمجنونة أو متهورة · كانت

تقف هناك حتى تراها السيدة جروز المذعورة البائسة ؟ لكن أغلب الظن انها كانت هناك من أجل فلورا ... كانت لحظة غير عادية بالنسبة لى .. لأننى لم استطع مقاومة ارسال رسالة شكر صامتة عبر الماء الى شبح تلك المرأة الشاحبة المخيفة !

كانت تقف مباشرة على الجزء المقابل لضفة البحيرة التى غادرناها منذ قليل فقط أنا والسيدة جروز . وتطفع كل بوصة من شكلها وحجمها بالشر .. الشر التام ! .. رأيت كل ذلك خلال لحظات قليلة ، كانت السيدة جروز تتطلع اثناءها ببلاهة الى المكان الذى اشـــرت اليـــه . واعتقد بالطبع ، انها رأت مارأيته . وكان كل اهتمـــامى ينصب أساسا على فلورا . كنت أريد أن أعرف كيف كانت ستتعامل مع اكتشافى لسرها .

لكننى صدمت عندما نظرت الى الطفلة . كنت أتصور انها ستبدو مضطربة او خائفة لكن لم يبد عليها شىء من ذلك . كان تعبير وجهها يظهر فقط أنها فاقدة لمشاعرهـــا تماما . ولم تكن تود بالطبع أن تكشف لنا عن المزيد من

سرها أكثر مما عرفناه بالفعل ، ولذلـــك فلم أكـــن على استعداد لتلقى احدى ومضاتها السريعة التى تخرج من عينيها . وقفت هناك دون ادنى حركة من وجهها المتورد الصغير ، ولم تهتم حتى لتنظر للحظة الى الزائرة الموجودة على الطرف الآخر من البحيرة .

بدلا من ذلك ، أخذت تنظر الى بقسوة شديدة ـ بتعبير كان جديدا تماما .. كانت نظرة قاسية بدا منها انهـــا تعرفنى ، وانها تتهمنى ، وانها تصدر على حكما ، كل ذلك فى نفس الوقت .. كانت نظرة ، تبدلت الطفلة من خلالها لتصبح شخصا آخر مخيفا . وادهشنى انها لم تكن مهتمة بالآنسة جيزيل ، وخاصة عندما تأكدت انها تستطيع أن ترى شخصها الكريه بوضوح تام .

صحت قائلة : انها هنـــاك ، انت أيهـــا الشـــىء الصغير التعس ... انها هناك ، وبامكانك أن ترينها مثلما ترينني تماما !

كنت قد قلت للسيدة جروز من قبل ان فلورا لاتكون طفلة فى هذه الاوقات ، لكنها تصبح كامرأة ، امـــرأة

ناضجة · وهذا الوصف كان ينطبق تماما على الحالة التى بدت فيهـــا والطريقة التى كانت تنظر بهـا الى · تجاهلت كلماتى وكذلك اصبعى الذى يشير ، ورمقتنـى بنظرة كراهية عميقة جدا · وظل هذا التعبير على وجهها ·

ولقد صدمت هذه المرة من تصرفات فلورا ، اكثر من اى مرة سابقة ، وحتى تزداد الأمور سوءا فقد كان على أن اتعامل مع انفجارة صدرت من السيدة جروز فجاة · فلقد احمر وجهها وبدا كما لو أنه يملأ المكان امامى · وسمعت صوتها عاليا معترضا : « ماهذه الصدمة الفظيعة التى سببتها لى ، ياآنسة ، بحـــق الله ، أين ذلك الذى ترينه ؟ »

ولم أستطع الا أن اضغط اكثر على ذراعها ، لأنها اثناء ما كانت تتكلم كان شبح الآنسة جيزيل القبيح يقف واضحا دون خوف · لقد رأيته بالفعل لمدة دقيقة ، وظل باقيا اثناء كلامى وحتى اشرت بأصـــبعى **وصحت** : الا ترينها بالضبط كما رأيناها ؟ هل تعنين انك لاترينها ·· ولاحتى الآن ؟ انها ضخمة كالسفينة الحربية ! انظرى ، ياعزيزتى ، انظرى ··· !

ونظرت مثلما فعلت أنا ، لكنها هزت رأسها ، وصدر عنها صوت يعبر عن الفشل واليأس والرثاء ·· الرثاء من اجلى ! ·· وكنت اعتقد انها ستكون سعيدة لمعاونتى لو كان فى مقدروها ذلك · وكنت فى هذه اللحظة فى أمس الحاجة الى عون على قدر ما يمكن ·· لكن ثبت بالقطع ·· ثبت انه ليس لديها القدرة اللازمة لرؤية الأشباح الشريرة : وأصبح موقفى تجاهها ضعيفا جدا · وتصورت أن الآنسة جيزيل قد تحققت من هزيمتى أو عرفت ، كما عرفت أنا ، أن مشكلتى أصبحت الآن مشكلة مزدوجة كما كانت من قبل · فقد أصبح من المحتم على أن اتعامل فلورا ومع مايلز على انفراد تماما ·

لم تضيع السيدة جروز وقتا فى كشف ابعاد المسالة بالنسبة لى ـ وبالنسبة لفلورا فقالت : « انها ليست هناك ياسيدتى الصغيرة ، ولايوجد اى احد هناك ··· وانت لم ترى اى شىء ابدا ، هل رأيت ، ياعزيزتى ؟ كيف يتسنى للآنسة جيزيل المسكينة ·· أن تظهر ثانية بعد أن ماتت ودفنت ؟ نحن نعرف ذلك ، اليس كذلك ياعزيزتى ؟ » وأخذت الطفلة بين ذراعيها ثانية · **وقالت** : « الأمر كله مجرد

خطا وازعاج ونكتة .. وسوف نعود الى البيت بأسرع مايكون ! »

وافقت الطفلة بسرعة ووقفت الاثنتان متحالفتان ضدى . ولم يتغير تعبير فلورا تجاهى ، وتوسلت الى الله أن يغفر لى مارأيته : جمالها الطفولى الآخاذ وقد غاب عنها . ولقد قلت ذلك من قبل .. كانت قاسية ، وقبيحة الى حد ما .

وقالت : « أنا لا اعرف ماذا تقصدين ؟ أنا لم ار اى شخص .. لم ار اى شخص اطلاقا ! .. » ثم لوت وجهها ومضت قائلة : « انت قاسية .. انا اكرهك ! »

واحتمت فى السيدة جروز بعد أن قالت ذلك الكلام واخفت وجهها الصغير البتئس فى جونلة السيدة جروز الفضفاضة . ومن خلال الجونلة صدر عنها بكاء مكتوم يائس وأخذت تصرخ : « خذينى بعيدا ـ أوه خذينى بعيدا ، عنها ! »

فقلت لاهثة : « بعيدا عنى ؟ »

فصاحت باكية : « بعيدا عنك ـ بعيدا عنك ! »

واكتسى وجه السيدة جروز بمسحة من الخجل بسبب ذلك . ولم أستطع فعل شىء سوى أن أدير رأسى ثانية تجاه شبح المرأة على الضفة المقابلة . كانت ماتزال تقف هناك دون حركة ، كما لو انها تنصت الى أصواتنا . عندئذ تيقنت أن ظهور الآنسة جيزيل بالنسبة لى ، وعدم ظهورها التام بالنسبة لسيدة جروز ، يحمل نفس النتيجة بالضبط ، وهو تحطم كل آمالى فى انقاذ فلورا . لقد كانت الطفلة تتحدث وكأن كل كلمة من كلماتها الصغيرة التى تحمل روح الكراهية ، آتية عبر البحيرة .. هززت رأسى بحزن **وقلت :** « لقد فقدتك يا فلورا .. ربمـا كانت تراودنـى الشكوك بخصوص ذلك فى الماضى ، لكنها الآن قد ولت . لقد تدخلت فى خططها » .

ثم تطلعت عبر الماء الى تلك الشاهدة الشريرة ، **وواصلت كلامى :** « لقد دلتك على أسهل وأكمل أسلوب لكى تهزمى أسلوبى . لقد بذلت مافى وسعى لأنقذك ، لكننى فشلت . وداعا ! » ..

التفت الى السيدة جروز وصحت فيها: «هيا ، اذهبى» . كانت مضطربة جدا وأحست تماما بان هناك شيئا خطيرا قد حدث . لكنها اخذت الطفلة الصغيرة وعادت من نفس الطريق الذى جئنا منه ، وبأسرع ماتستطيع .

لا أعرف بالضبط ماذا حدث لى أولا بعد أن تركانى . لكن بعد ربع ساعة شعرت فجأة اننى بردانة ومبتلة ووجد تنفسى منطرحة على وجهى فوق الأرض . لابد اننى القيت بنفسى على الأرض واخذت ابكى وابكى . ويبدو اننى ظللت كذلك ابكى لفترة طويلة . عندما نهضت اخيرا كان الظلام على وشك أن يكسل . تطلعت الى البحيرة الرمادية . وسرت ببطء عائدة الى البيت .

عندما وصلت الى البوابة الموجودة فى السور ، دهشت لاكتشافى أن القارب اختفى ، اذن ففلورا ما زالت تدير الأمور ! قضت الليل مع السيدة جروز ، اعتقد على الأقل انها فعلت ذلك ، رغم اننى لم ار ايا منهما اثناء عودتى .

اما مايلز فقد كان معى لفترة لابأس بها من المساء ،

وحقيقة فقد بقى ذلك المساء فترة أطول مما كان يقضيها معى عادة من قبل . عندما عدت الى البيت ، لم ابحث عنه . ذهبت مباشرة الى غرفتى لأغير ملابسى ، فلاحظت على الفور ان حاجيات فلورا قد اخذت من الحجرة . بعد ذلك تناولت الشاى كالعادة بجوار مدفأة حجرة الدراسة . ولم اسأل الخادمة التى احضرت الشاى عن غياب الطفلين ، فمايلز قد حصل على حريته الآن .. وبامكانه ان يتحصل على الكثير منها كما كان يريد .

لكن لايبدو انه يريد الكثير جدا . اذ عاد الى حجرة الدراسة حوالى الساعة الثامنة وجلس معى فى صمت . فى ذلك الوقت كنت قد اطفأت المصباح وقربت مقعدى الى جوار المدفأة . كنت اجلس فى الظلام مع افكارى عندما حضر . جلس معى ، وكنت اشعر تماما انه كان يود أن يكون معى .

- ٢١ -

فى صباح اليوم التالى حضـــرت الى حجرة نومى السيدة جروز مبكرا وكانت تحمل انباء سيئة ·· يبدو ان فلورا مريضة · تزايدت عليها الحمى اثناء الليل وابقتها متيقظة ، بكت كثيرا ، لم تكن على الأطلاق مشغولة بافكار الآنسة جيزيل ، انما كان كل ماتريده ان تظل بعيدة عنى ! نهضت على الفور وبدأت اوجه بعض الأسئلة · بعد ان تبين لى أن السيدة جروز كانت على استعداد تام للاجابة عليها ·

ـ هل مازالت تقول انها لم تر أحدا أبدا أو أى شىء ؟

ـ لا اعرف ، يا آنسة · فانا لم اسالها ثانية عن ذلك ·· اعتقد أنه ليست هناك حاجة لذلك · فلقد انهكها ذلك تماما !

ـ أوه ، أنا أعرف الشكل الذى تبدو عليه ، وأعرف كذلك الأسلوب الذى تسلكه · انها متضايقة ، بنفس القدر الذى يكون عليه انسان يشعر باهميته ، لأننى قد شككت فى ثقتها بنفسها وشخصيتها · وحقيقة أنا مازلت اشك فيها كثيرا جدا · وأنا لا أعتقد انها ستتحدث الى ثانية على الأطلاق ·

لم تفهم السيدة جروز ما قصدته تماما ، فلم تقـــل شيئا للحظة،ثم اتفقت معى تماما فى النقطةالأخيرةوقالت : حقيقة ، يا آنسة ، أعتقد أنها لن تفعل ذلك ابدا · فهى معتزة بنفسها !

قلت بوضوح : « هذه هى مشكلتها الرئيسية الآن »

ـ انها تسألنى كل بضع دقائق ، عما اذا كنت أظن انك ستاتين الى الحجرة ؟ »

ـ فهمت ··

ـ هل قالت لك كلمة واحدة عن الآنسة جيزيـل منذ أمس ··· فيما عدا أنها لم ترها ابدا أو تفكر فيها ؟

ـ ولا كلمة ، يا آنسة · وأنت تعرفين بالطبع اننى صدقتها بالأمس عند البحيرة ، حيث ـ لم يكن يوجد أى أحد هناك ؟

ـ نعم ، بالطبع ، أعرف ! ومن الطبيعى أن تظلى تصدقينها ·

ـ وماذا عساى أن افعل غير ذلك ؟

ـ لاشىء على الاطلاق ! فانت تتعاملين مع انسانة صغيرة ماهرة جدا ، وصديقاها المتوفيان جعلاها اكثر مهارة مما يمكن أن تفعله الطبيعة · ان فلورا الآن لديها ماتشكو منه · وسوف تستغل ذلك جيدا حتى النهاية !

ـ أجل ، يا آنسة ، لكن ماذا ستكون النهاية ؟

ـ « أن يخبرا عمهمـــا عن كل شـــىء ـ وعني سيقولان عنى اننى أسوأ ··· »

ويبدو أن السيدة جروز تخيلت الطفلين وهما يخبران عمهما ·· وانعكس هذا المشهد على تعبيرها : « لكن هو له رأى ممتاز فيك ، يا آنسة » !

ـ فلورا تريد التخلص منى ،بطبيعة الحال ·

فوافقتنى : بل انها لاتريد حتى ان تنظر اليك ثانية !

سألتها : « هل ذلك ماحضرت لتقوليه لى ؟ ـ وانـــه يتحتم على أن أرحل على الفور ؟ » ·· وقبل أن تتمكن من الاجابة **اكملت :** « ان لدى فكرة افضل · فكرت فيها اثناء الليل ·· يوم الأحد الماضى فكرت انه قد يكون من الأفضل بالنسبة لى أن أرحل ·· وكنت على وشك أن افعل ذلك ·· لكن ذلك لن يفيد فى شىء انه انت التى يجب أن تذهبى · يجب أن تأخذى فلورا » ·

تدبرت الأمر وسألت : لكن الى اين ··· »

ـ بعيدا عن هنا · بعيدا عنهما · بعيدا ·· وبغض النظر عن موقفى · تأخذيها مباشرة الى عمها ·

ـ لكنها سوف تخبره فقط بـ ···

ـ دعيها تفعل · يجب ان تتركينى هنا مع علاجى

نظرت الى فى ريبه : « وماهو علاجك ؟ »

ـ ولاوّك لى ·· ذلك اول شىء · ومايلز بعد ذلك ·

ـ الا تظنين أنـه لن ينقلب عليـك اذا اتيحت لـه الفرصة ؟

ـ نعم · مازلت افكر فى ذلك · على اى الأحوال ، انا اريد ان احاول ·· اذهبى مع اختـه بأسـرع مايمكن ، واتركينى معه وحدى !

ظلت مترددة لكنها لم تقل اى شىء يعارض فكرتى ·

واصلت كلامى : « بالطبع ، لابد ان يرى كل منهما الآخر ولو مجرد لحظات قبل أن تذهب » ·

عندئذ اتضح سبب تردد السيدة جروز لأن الطفلين كانا قد تكلما مع بعضهما بعد أن عادت فلورا من البحيرة، وبالتالى فان ماعرضته لم يكن له فائدة ترجى ·· **فسألتها بصوت قلق :** « هل تعنين أن الطفلين قد تقابلا بالفعل ؟ »

احمر وجهها مرة ثانية : « آه ، يا آنسة ، فانا لست على هذه الدرجة من الحماقة : فعندما كان يتحتم على أن اتركها لمدة ثلاث او اربع دقائق ، كنت اطلب من احـدى

الخادمات ان تبقى معها · حاليا هى فى الغرفة وحدها ولكننى اغلقت الباب · انا افكر فى ·· »

ـ اجل ، فى ماذا ؟

ـ ·· فى مايلز · هل انت متاكدة أن كل شىء سيكون على مايرام ؟ !

ـ انا لست متاكدة بخصوص اى شىء فيما عداك انت · لكننى اصبحت اكثر تفاؤلا منذ مساء امس · لاننى اعتقد انه كان يريد ان يقول لى شيئا · فقد جلس معى مدة ساعتين مساء امس امام مدفأة حجـــرة الدراسة ، وساعتها كنت اعتقد انه سيتكلم ·

تطلعت السيدة جروز عبر النافذة الى ضوء النهـــار الرمادى **ثم قالت :** « لكنه لم يقل اى شىء » ·

ـ « كلا · لم يقل · رغم اننى انتظـــرت وانتظرت · لكننى لم استطع الانتظار اكثر من ذلك · ينبغى ان اتيح له فرصة اكثر قبل ان اسمح لعمه ان يراه ·· خاصة اذا اخذت فلورا الى شارع هارلى · »

وظلت غير مستطيعة ان تتفق معى تماما **فسالتنى :**

ـ ما الذى تقصدينه بفرصة اكثر ؟

ـ فى خلال يوم أو يومين · أعتقد أنه سيكون على استعداد للكلام معى ·· وعندئذ سيكون فى صفى · وذلك شىء مهم جدا ، أليس كذلك ؟ واذا لم يحدث شىء ··· فبالطبع سافشل · وانت لن تقدمى على فعل اى شـــىء خطأ ، بل سوف تساعدينى بان تفعلى أفضل ما تستطيعن فى لندن ·

ولم تستطع السيدة جروز أن تقرر ، وكان على ان **اوجه اليها سؤالا آخر :** « قولى لى ، الا تودين حقيقة ان تذهبى ؟ »

افصحت ملامحها عن الرضا فى الحال ، ومدت الى يدها **وقالت :**

ـ سأذهب ·· سأذهب سأذهب هذا الصباح !

ـ « اذا كنت تودين البقاء قليلا ، فانا اعدك بالا ترانى فلورا » ·

وانفجرت فى فيض من الدموع ·· !

ـ كلا ، كلا !

ونظرت الى بعينين مثقلتين وواصلت كلامها : « فكرتك هى الفكرة الصائبة · وبالنسبة لى ، يا آنسة ·· »

ـ ماذا ؟

ـ لا أستطيع البقاء !

رمقتنى بنظرة مخيفة حتى اننى فكرت توا فى مخرج جديد ·

ـ هل تعنين انك قد رأيتها فعلا أمس ·· ؟ !

هزت رأسها : « كلا ، لكنى سمعت ··· »

ـ ماالذى سمعته ؟

ـ سمعت اشياء مرعبة جدا ، يا آنسة ·· من تلك الطفلة ! وبشرفى هى تقول اشياء ···

لكن السيدة جروز ، لم ترغب ، أو لم تستطع ان تقول لى ما قالته فلورا · جلست غارقة فى أحد المقاعد وانفجرت فى فيض من الدموع ·

انتظرت لبضعة دقائق ثم سألتها بهدوء : « هل كانت تتكلم عنى ؟ »

تطلعت الى على وهى تجفف دموعها : « نعم يانسة ، كيف عرفت ؟ فلم اكن ساقول لك · قالت كلاما أسوأ من اى شىء سمعته من قبل · لا اتصور أن فلورا تستطيع قول ذلك ·· ولا اتخيل أين تعلمت كل ذلك ·· »

ـ هل تقصدين أنها قالت عنى كلاما قبيحا ؟

ثم قلت بصوت عال : « أنا اعرف من علمها ذلك ! »

ـ ومن المحتمل أن أعرف أنا كذلك حقيقة ، يانسة · لأننى سمعت شيئا منه من قبل ! لكنى لا استطيع تحمله » واستدارت السيدة المسكينة تنصرف ونظرت الى ساعتى الموجودة على المنضدة : « يجب أن اعود اليها الآن · »

ـ لكن اذا كنت لم تستطيعى تحمل ذلك ، فكيف يمكنك البقاء معها ؟

ـ لكى ابعدها عن هذا المكان فقط يانسة ، بعيدا عن هذا المكان ·· بعيدا عنهما ·· !

ـ أجل ، أجل : فمن المحتمل أن تكون فلورا مختلفة عن مايلز · ربما ماتزال حرة الارادة !

واحتويتها بنوع من المرح : « اذن فبالرغم مما حدث امس · فانت تصدقين أن ··· »

لم تكن بى حاجة الى أن اكمل الجملة · فقد نطق تعبير وجهها قبل أن تقولها : « نعم ، أصدق » !

كنت فى منتهى السعادة لسماع تلك الكلمات · وكان يكفينى ما تحمله هذه الكلمات من صدق ، ولم اكن لاهتم بحدوث اى شىء اخر · واذا كانت صديقتى على استعداد لأن تقسم على صدقى ، فقد كنت على استعداد لأقسم لكل الباقين · لكن وقد قررت الآن أن تذهب الى لندن ، فقد كان هناك شىء واحد يقلقنى بعض الشىء ·

قلت : « لقد تذكرت شيئا توا ، لابد أن رسالتى قد وصلت الى عمهما ، قبل أن تصلى انت الى شارع هارلى · وسوف يعرف أن هناك شيئا ما قد حدث · »

كنت على يقين بأن لديها المزيد مما لم تقله لى ، وقد جعلها ذلك فى الحقيقة تبدو مرهقة جدا فقالت:«ببساطة ان خطابك لن يصل الى هناك ، فهو لم يرسل على الاطلاق ! »

ـ ماذا حدث له اذن ؟

ـ لا أعرف ، لكن مايلز ...

فقلت بصوت عال : « هل تعنين انه اخذه ؟ »

ترددت ثم جمعت شتات نفسها **واكملت :** « .. عندما عدت مع فلورا امس ، لم يكن الخطاب موجودا على منضدة الصالة حيث تركته . وفى وقت متاخر من المساء سالت المرسال اذا كان قد اخذ الخطاب الى مكتب البريد ، لكنه قال انه لم يكن يوجد خطاب على المنضـــدة عندما غادر البيت . وهكذا ترين ، يا انسة .. »

ـ اجل .. فهمت ـ لو أن مايلز اخذه ، فـلابد أن يكون قد قرأه ومزقه الآن » .

ـ لكن الا تدركين شيئا اخر يا آنسة ؟

تطلعت اليها للحظة بابتسامة حزينة : « يدهشنى أن عينيك الآن مفتوحتان اكثر من عينى » .

ـ فعلا ، فانا الآن اعرف ماقد فعله فى المدرسة » .

وهزت راسها بحزن : « لقد سرق ! »

فكرت فى ذلك : « ربما يكون قد فعل ، لكن .. »

ـ لكن ماذا ؟ اقصد انه سرق خطابات .

لم تكن تعرف بالطبع مبرراتى للشك فى أن مايلز قد اصبح لصا صغيرا **وقلت :** « امل اذن أن يكون قد تعلم المزيد من خطابات الناس الاخرين اكثر مما تعلمه من خطابى ! فما ذكرته لمعه كان مقتضبا جدا ، لقد قلت فقط . اننى أريد أن اقابله . لو أن مايلز اخذ الخطـــاب فعلا ، فانا اعتقد انه يشعر بالخجل التام لأنه فعل شيئا لم يكسب منه الكثير . وذلك هو السبب الذى جعله يبقى معى طويـلا مساء امس ! فقد كان يريد أن يعترف » .

وبدا لى كل شىء واضحا فى النهاية . فقلت وانا اقف عند باب الحجرة استعجلها فى الانصراف : « هيا ، هيا ولسوف يقول لى مايلز · سوف يعترف كلية · لو اعترف فسوف ينقذ نفسه ، واذا أنقذ ··· »

ـ ستنقذين أنت كذلك · اعتقد أن ذلك ماتقصدينه ·

عند ذلك قبلتنى وأمسكت بيدى · وقالت وهى تمضى الى الخارج : « سوف أنقذك بدونه ! » ···

- ٢٢ -

عندمـــا هبطت الى الدور الأرضى ، قالوا لـــى ان السيدة جروز وفلورا قد غادرتا البيت فى العربة · ولم أشعر أبدا بأننى خائفة على هذا النحو ، منذ اليوم الذى جئت فيه الى « بلاى » ·

لقد افتقدت مديـــرة البيت بشكل فظيـــع وفجأة · وأصبحت وحيدة وجها لوجه ، فقلت لنفسى ، فلأدع نفسى للأقدار مهما يكن ماتسفر عنه · ولعدة مرات طوال اليوم انتابنى احســاس بأننى كنت فى منتهى الغباء حتى اترك السيدة جروز ترحل ، خاصة وكما تبين لى الآن ، ماكنت أراه من النظرات الحائرة على وجـوه الخدم فقد كانوا يتساءلون بطبيعة الحال عن سبب ماحدث · ولم يكن فى استطاعتنا تقديم مبرر مقنع لرحيل مديرة المنزل والطفلة ·

هكذا وفجأة · لكن سرعان ما تيقنت انه يتحتم على الا اسمح للخدم بازعاجى ، وان افضل شىء لاثبات ذلك ، ان اشغلهم على الفور فى شئون البيت ·

وهكذا اصبحت فى ذلك اليوم حاسمة جدا مع كل فرد فى البيت · اخذت اتجول فى انحاء البيت لمدة ساعة او ساعتين ، لأرى اذا كنت على استعداد لمقابلة اى نوع من المشاكل ،

لم أرى مايلز على الاطلاق ، لكن لابد انه قد اصبح من الواضح تماما لكل من البيت أن هناك تغيرا فى العلاقة بيننا · وكان أول يوم من ايام الأسبوع منذ عدة شهور تبدو فيه حجرة الدراسة منسية تماما ··

كان قد اختفى تماما عندما هبطت السلم ، وعلمت انه قد تناول افطاره مع السيدة جروز واخته فى المطبخ · واخبر الخدم حينئذ انه سيخرج للتمشى · واعتقد ان عبارته « اخرج للتمشى » قد عبرت عن تغير العلاقة بيننا بشكل افضل من اى شىء آخر ·

ولم استطع ان أعرف ما اذا كانت العلاقة بيننا ستصبح مرة أخرى علاقة تلميذ ومربية ام لا ، وكان ذلك بشكل ما احد اسباب راحتى ، فعلى الأقل استطيع الآن ان اتوقف عن الادعاء باننى لا امثل بالنسبة اليه اكثر من انى مدرسة له فقط · ولقد كان مدركا لذلك وواعيا له ، حتى اننى لم اشعر باى حرج كبير لمجرد تقديم مميزاتى الحرفية · لكن قدراته الذهنية كانت حقيقة اكبر من قدراتى والأمر على هذا النحو يعد حماقة منى أن امضى فى التفكير فى نفس كمدرسة له · حسن ، لقد حصل على حريته الآن ، ولن اتدخل فى حياته مرة ثانية ·· !

على اى الأحوال فقد كنت مشغولة جدا بالمشكلة الرئيسية حتى اقلق نفسى بمشكلة تعليمه ، وتأكدت أن الصعوبة فى هذه المشكلة تكمن فى اللحظة التى يعود فيها مايلز للبيت · فبرغم ماحدث امس ، وبرغم كل ماحدث فى الأشهر الأخيرة ، ظل الصبى على نفس الحال ، ظل سلوكه هادئا كالعادة ، ومازال جماله الطفولى موجودا . ولم يبد عليه اى نوع من المعاناة على الاطلاق ·

قررت واخبرت الخدم باننى سوف اتناول طعام الغداء مع مايلز بحجرة الطعام ·· تلك الحجرة التى رأيت فيها كوينت للمرة الثانية مساء يوم أحد منذ فترة طويلة · انتظرت مايلز هناك ، وبينما كنت انتظره اخذت افكر فى احسن طريقة للتعامل معه · وتفتح ذهنى على شىء ، لو اننى كنت أريد ان احفظ توازنى ، فينبغى على أن اطرد الحقيقة من ذهنى ، الحقيقة التى تتلخص فى أن كل تلك الأمور ضد الطبيعة · وباستطاعتى أن اتعـــايش معهـا واتعامل مع هذه الأشياء المزعجة وكأنها اشياء غير عادية وغير مبهجة ــ مجرد اشياء متعبة سرعان ما تزول · ولابد أن أتغلب عليها ويصبح كل شىء على مايرام مرة ثانية !

حضر مايلز الى حجـــرة الطعام ، وقف ويداه فى جيوبه · كان الطعام على المائدة ، والخدم قد عادوا الى المطبخ · نظر الصبى الى الطعام وكأنه على وشك أن يبدى تعليقا مضحكا عليه · **لكن بدلا من ذلك قال :**

ــ هل هى مريضة جدا حقيقة ؟

ــ فلورا ؟ كلا ، ليست مريضـــة جدا · ســـرعان

ماستتحسن صحتها فى لنـدن · فجو « بـــلاى » لا يتفق معها · اجلس وتناول طعامك !

استجاب على الفور **ثم واصل كلامه :** « لكن هل جو « بلاى » أصبح لايتوافق معها هكذا فجأة » ؟

ــ ليس هـكذا فجأة كما تعتقد · لقـد كانت حالتها تسوء منذ فترة !

ــ اذن لماذا لم ترسلوها من قبل ؟

ــ قبل ماذا ؟

ــ قبل أن تصبح مريضة الى هـذا الحد ولا تقوى على السفر ·

ــ لكنها ليست مريضة الى الحد الذى يمنعها من السفر · من المحتمل أنها كانت تصبح كذلك لو بقيت هنا · كان ذلك هو الوقت المناسب تماما لسفرها ·· وقد تكون الرحلة بمثابة نوع من التغيير هى فى حاجة اليه · ·

ــ فهمت · فهمت !

جلس ليتناول طعامه بسلوكه المتميز بآداب المائدة ، الذى اتسم به منذ عودته من المدرسة · حتى أننى توصلت الى انه مهما كان سبب طـرده من المدرسة ، فلن يكون بسبب أسلوبه الردىء فى تناول الطعام · لكنه اليوم اثناء تناول الطعام ، كان يبدو عليه انه يفكر بعمق اكثر ممـا يأكل · حتى انا اكلت قليلا وســـرعان ما ناديت الخـدم ليرفعوا الطعام ·

وعندما كان يجرى ذلك ، وقف مايلز ثانية ويداه فى جيوبه وظهره لى · كان يتطلع من النافذة العريضة التى رأيت كوينت خلالها · لم نقل اى شىء حينما كانت الخادمة فى الحجرة ، لكن عندما غادرتها **استدار الى وقال :**

ـ حسن ، ها نحن وحدنا !!

- ٢٣ -

اجبت : أوه ، ليس تماما لا تبدو كذلك !

ولاحظت أن ابتسامتى ليست مشرقة تماما ·

ـ كلا ·· اعتقد ذلك فعلا فالآخرون بالطبع مازالوا هنا ·

وافقته على كلامه : « أجل بالطبع ، فالآخرون مازالوا هنا » ·

فقال : « لكن رغم انهم هنا ، فان وجودهم ليس لـه اهمية ، أليس كذلك ؟ »

ـ أوه ، ذلك يتوقف على ماتقصده بكلمة « اهمية !»

ـ أجل ، أجل ·· كل شىء يتوقف على شىء ما ! »

التفت ناحية النافذة مرة اخرى ثم اتجه ببطء ناحيتها وهو غارق فى التفكير · ثم اخذ يضغط انفه على زجاج النافذة ، متطلعا الى الأشجار المجردة من أوراقها فى شهر نوفمبر · التقطت قطعة من شغل الابرة كنت اعمل فيها ، واتجهت صوب كرسى مريح · كانت تلك هى احدى اللحظات التى وصفتها من قبل ·· سكون غريب ·· وصمت · وكنت على يقين تماما بأن كوينت او الآنسة جيزيل او كليهما موجودان فى الحجرة معنا ·· !

لكن الوضع كان مختلفا هذه المرة · فعندما نظرت الى ظهر الصبى ، طرأت على ذهنى فكرة وبالحاح · واصبحت واضحة جدا خلال لحظات · وعرفت ان هناك شيئا غريبا فى الحجرة ، لكن مايلز لايعرفه ! فقد انقضت فترة طويلة لم يرى فيها كوينت ·

ويبدو أن اطار النافذة العريضة افصح عن فشله · فشعرت اما انه عاجز عن الرؤية ، أو انه فى موقف المتعادل ، واعطانى هذا الاحساس دفعة من الأمل · فقد كنت على يقين انه كان يتطلع عبر الزجاج الى شىء لم

يستطع أن يراه ، وان هذه هى أول مرة يعرف فيها مثل هذا الفشل · ادى به ذلك الى أن يكون مضطربا ، على ما اعتقد ، رغم انه نجح فى السيطرة على نفسه · وعندما استدار اخيرا **قال ببساطة :** « حسن ، اعتقد اننى سعيد لأن « بلاى » يتوافق معى » ·

ـ هذا شىء طيب ·· لقد رأيت الكثير منه فى الساعات القليلة الماضية ، اكثر مما اتيح لك فى الأوقات السابقة · أتمنى أن تكون مستمتعا بنفسك !

ـ أوه ، نعم ، فلقد تجولت فى انحاء المكان كله ، سرت اميالا وأميالا · ولم اكن بمثل هذه الحرية !

وكان فى الحقيقة يتصرف بشكل رائع وكل ماأستطعته ان أسايره ·

ـ وهل تحب المكان هنا ؟ »

فوقف هناك مبتسما **ثم قال كلمتين :** «وانت ، كذلك ؟» وحمل ماتين الكلمتين من المعانى أكثر مما كنت أستطيع ان اتخيله · وقبل أن أستطيع الاجابة ، **واصل كلامه :**

« كرم منك أن تبقى هنا ، بالطبع ، رغم أنه قد لايبدو لطيفاً بالنسبة لك · واذا كنا · أصبحنا وحدنا هنا ، فسوف تقضين معظم الوقت وحدك · أرجو الا يضايقك ذلك ! »

فسألته : « يضايقنى أن أكون معك ؟ · ياطفلى العزيز ، انا استمتع بذلك ! ذلك هو السبب فى بقائى هنا » ·

نظر الى مباشرة ، وكان تعبير وجهه فى تلك اللحظة جاداً ، أجمل تعبير رأيته على وجهه من قبل · **وقال** : « هل بقيت هنا من أجل ذلك فقط ؟ »

ـ « بالتأكيد · انا باقية هنا بمثابة صديق لك ولأننى مهتمة بك ، وسابقى حتى يتم ترتيب شىء ما بخصوص مستقبلك ولن يدهشك ذلك · الا تذكر أننى قلت لك ، عندما حضرت اليك وجلست على سريرك ليلة هبوب العاصفة ، اننى اريد فقط أن اساعدك ؟ »

ـ أجل ، أجل ! ··

واكتشف انه من الصعب أن يتكلم بهدوء ، لذا فقد تظاهر باننا نمزح : « لكن ذلك ، على ما اعتقد كان لكى تقنعينى بأن افعل شيئا من أجلك !»

فاعترفت : « فعلا كان ذلك يتضمن أن تفعل شيئا ، لكنك لم تفعله » ·

قال : « اذكر الآن ـ فقد اردت منى أن اقول لك شيئا » ·

ـ هذا صحيح · كنت اريد منك أن تخبرنى بشىء ما كان يتعبك ·

ـ آه ، ومازلت تريدين أن تعرفى ؟ هل ذلك ماجعلك تبقين هنا ؟

كان يتكلم بمرح ، لكننى احسست يقينا بأن هناك نغمة استسلام فى صوته · فسرنى ذلك اكثر مما اتصور · **فاجبت** : « نعم ، انا اعترف بذلك · ذلك ماجعلنى ابقى هنا » ·

ظل صامتا فترة طويلة ، فاعتقدت انه كان سيقول بأن ليس هناك شىء يتعبه ، أو انه ليست لديه النية لكى يقول لى أى شىء ·

لكنه قال أخيرا : « هل تعنين الآن ·· هنا ؟ »

– لن يكون هناك مكان ولا زمان افضل من ذلك ·

تطلع حوله ، كما لو ان هناك شيئا يربكه ، ثم انتابنى احساس غريب انه كذلك بالفعل ، لأنه كان خائفا لأول مرة ربما كان خائفا منى ، وبالتالى فان هذا يكون افضل انواع الخوف · وتساءلت عما اذا كان ينبغى ان اتحدث اليه بقسوة · لكننى لم استطع فعل ذلك ، حتى ولو كنت ارغب فى فعله · وفى اللحظة التالية قلت برقة : « انت تريد ان تخرج ثانية ، اليس كذلك ؟ »

– كم أود ذلك !

ابتسم بشجاعة والنقط قبعته · وقف هناك يلوى طرف قبعته بيده بطريقة جعلتنى اشعر بالخجل · فلقد أحسست حقيقة بالخجل مما كنت افعله ، رغم اننى كنت أعرف أن كل تصرفاتى كانت تعجبه · لقد كنت احاول انقاذه ، ولا استطيع أن أفعل ذلك الا بان اجعله يدرك فكرة الاثم والشر · كنت اقوم بفعل ذلك الى طفل صغير لاحول له ولاقوة ، اصبح بالنسبة لى بشكل من الاشكال

صديقا ورفيقا رائعا · ولك أن تتصور مدى ماشعرت به من خجل ·

قال مايلز : « ساخبرك بكل شىء ، اعنى ساقول لك كل ماترغبينه · سوف تبقين هنا معى ، وسنكون على مايرام وساقول لك ·· سوف اقول لك · لكن ليس الآن ! » ··

وبدا فى عينيه ، وربما فى عينى أنا ايضا ، علامات الألم والحزن التى كانت قادمة · كان من الواضح تماما انه يخشى على بقدر خشيتى عليه !

سألته : « ولماذا ليس الآن ؟ »

اتجه ناحية النافذة ثانية ، وكان كلانا صامتين · لكن بعد مضى لحظة عاد الى بسرعة · وبدا كما لو أن هناك شخصا مهما بالخارج شخصا لايستطيع أن يجعله ينتظر وقال لى : « ينبغى أن أخرج الآن » ·

– فلتخرج اذن ، وسوف انتظر ما قد وعدت به · لكن فى مقابل ذلك ، وقبل أن تخرج ، هناك شىء صغير أود أن اعرفه ·

تردد ثم قال : « شيء صغير جدا ·· »

ـ نعم ، شيء صغير جدا فقط من المسألة كلها تقول لى ، اذا كنت قد أخذت خطابى من فوق منضدة الصالة بعد ظهر أمس !

لمدة دقيقة لم أستطع معرفة رد فعل تساؤلى هذا · فلقد حدث شيء بدد انتباهى بشكل كبير · فقد قفزت من فوق مقعدى ، وبجركة أو حركتين عفويتين أمسكت بمايلز واحتضنته وجعلت ظهره تجاه النافذة وتلفت حولى طلبا للمساعدة · فلقد عاد شبح كوينت للظهور فى هيئة حارس فوق البرج ـ وكان الشيء الذى رأيته بعد ذلك أنه قد وصل الى النافذة · وقف بالقرب من الزجاج ، يتطلع من خلاله بوجهه الشيطانى الشاحب الدنيىء !

لا أستطيع وصف مشاعرى · كل ما أستطيع قوله هو اننى توصلت الى قرار سريع جدا وأن اقوم بتنفيذه ·· وهكذا وأنا اقف أمام تلك الروح الشريرة وجها لوجه ، توصلت الى أن مايلز لاينبغى له أن يراه · كان الأمر

احتويته اكثر بين ذراعى ..

أشبه بقتال مع الشيطان من أجل روح انسانية ، وعندما تطلعت الى الروح الانسانية التى بين يدى ، رأيت بضع قطرات من العرق على وجه الطفل الصغير . ثم سمعت صوت الصبى . لم يكن خفيضا ولا واهنا ، انما كان ياتى من أغوار سحيقة ، وكانت الكلمات التى سمعتها فى منتهى الحلاوة .

ـ أجل .. لقد أخذته .

تنفست الصعداء وبراحة ومرح . احتويته اكثر بين ذراعى حتى احسست بضربات قلبه . كانت عيناى ماتزالان مثبتين على ذلك الشىء الموجود خارج النافذة ورأيته يتحرك الى اتجاه جديد ، قلت ان كوينت يبدو فى هيئة حارس ، لكن حركته البطيئة جعلته يبدو وكأنه وحش داخل قفص . تجولت عيناه فى ارجاء الحجرة ، ثم توقف الشبح ليراقب وينتظر . كنت على ثقة تامة فى تلك اللحظة باننى سأهزمه ، ومتأكدة ان مايلز لايعلم ان كوينت موجود هناك ، **فواصلت كلامى** : « ما السبب الذى جعلك تأخذ الخطاب ؟ »

ـ لأعرف ماقلته عنى ٠

ـ اذن فقد فتحت الخطاب ٠

ـ نعم ٠ فتحته !

ابعدته قليلا عنى ، حتى أستطيع رؤية وجهه ٠ كان تعبير وجهه يدل على تلاشى كل ما كان يتظاهر به ،

كان مضطربا ٠ لكن الشىء الغريب فى الأمر كله هو تاثير اعترافه ، الذى قطع الصلة بينه وبين كوينت ، ولم يعد يستطيع الاتصال مع ذلك الشىء الشرير ٠ كان يعرف من ذلك ، ان هناك شيئا غريبا متواجدا ، لكنه لم يكن يعرف ماهو ٠ ويبدو انه لم يكن لديه أى فكرة على الاطلاق اننى أيضا كنت على وعى بوجود ذلك الشىء الغريب واننى قد عرفته ٠ تطلعت ثانية ناحية النافذة ـ وقد لا يبدو ذلك مهما ـ ولم أجد أحدا هناك ٠ كان الجو صافيا ، واختفى كوينت ٠ احسست بانني قد تغلبت عليه ولابد ان أحقق نصرا كاملا ٠ فنظرت الى مايلز ثانية ٠

ـ ولم تجد اى شىء ؟

هز رأسه بحزن : « لاشىء » ٠

فقلت بصوت مرتفع : « لاشىء ، لاشىء ! » ٠

فكرر : « لاشىء ، لاشىء ! » ٠

ـ اذن ، ماذا فعلت بالخطاب ؟

ـ احرقته !

ـ احرقته ؟ هل ذلك ماكنت تفعله فى المدرسة ؟

قال ! « فى المدرسة ؟ »

ـ هل ذلك هو السبب فى طردك من المدرسة ؟ ٠٠ لأنك كنت تاخذ الخطابات أو أشياء أخرى ؟

شعرت بأن وجهى يحمر وتساءلت عما اذا كان من الغرابة فى شىء أن أوجه مثل هذا السؤال الى انسان مهذب ـ أو لأرى الأثر الذى يحدثه له ٠ شعر بالخزى ٠

ـ هل كنت تعرفين اننى طردت من المدرسة ؟

ـ اجل ٠ اعرف كل شىء عنك !

نظر الى باندهاش شديد لفترة طويلة : « كل شيء ؟»

ـ كل شيء · لذا فهل ···

ـ كلا · انا لم اسرق !

ولاشك ان وجهى قد انباء باننى اصدقه · لكن بعد مضى عدة أشهر من التحرى ، لم استطع مقاومة نفسى من ان اسأله :

ـ« اذن ما الذى فعلته ؟ »

تطلع حواليه فى كل ارجاء الغرفة وتنفس بصعوبة مرتين أو ثلاثة كما لو انه يعانى ألما : « حسن ، كنت أنقل كلاما » ·

ـ ذلك فقط ؟

ـ اعتقدوا ان فى ذلك الكفاية !

ـ « الانك تنقل كلاما فقط لم يسمحوا لك بالعودة الى المدرسة · لايبدو ذلك سببا معقولا تســـتحق عليه هذا العقاب القاسى ، مثل الطرد »·

بدا لاحيلة له على الاطلاق ولم يحاول تبرير ذلك ·

ـ اعتقد ، انه لم يكن ينبغى على ان اقول مثل هذه الأشياء !

ـ الى من كنت تنقل الكلام ؟

حاول أن يتذكر لكنه لم يستطع : « لا اعرف ! »

واصبح مستسلما تماما خلال يأسه فابتسم لى · ولو اننى كنت اكثر حكمة ، لوجب على ان اتوقف عن سؤاله · لكن يبدو أن انتصارى على كوينت ، قد اعمانى ·**فواصلت:** « هل كنت تنقل الكلام الى اى شخص ؟ »

ـ كلا ، كان فقط لـ ···

هز رأسه ثانية **وقال** « لا أذكر اسماءهم »

ـ هل كانوا كثيرين ؟

ـ « كلا ·· بل قلة · اولئك الذين كنت أحبهم ·

كان يقول بعض اشياء لعدة اولاد كان يحبهم ! ولهذا لم يسمح له بالعودة الى المدرسة ! وغدت المشكلة أصعب

بدلا من أن تكون سهلة · شعرت بالأسف الشـــديد له ، وتساءلت خلال ذلك عما اذا كان حقيقة قد ارتكب اى شىء خاطىء · أزعجتنى الفكرة · واكتشفت فجأة انه اذا لم يكن مذنبا،فانا التى سأكون مذنبة!وأصابتنى الفكرة بالوهن ، وتركته ليذهب ·· ابتعد عنى ناحية النافذة ، ولم يكن هناك ما اخشى عليه منه ·

سألته : « وهل كان هؤلاء الأولاد يرددون ماكنت تقوله لهم » ؟

ابتعد عنى قليلا · وتطلع حواليه فى ارجاء الغرفة بقلق وهو مازال يتنفس بصعوبة · لكنه اجاب على سؤالى: « أوه ، أجل ، لابد انهم رددوا ماكنت اقوله لهم · رددوه الى الأولاد الذين كانوا يحبونهم »

– واكتشف المدرسون ذلك ·· على ما اعتقد ؟ !

– نعم ، ولكنى لم اعتقد انهم سيخبروا احدا !

– لم يفعلوا – لم يخبرونى باى شىء على الاطلاق – وهذا هو السبب فى اننى اسألك ·

والتفت الى بوجهه الصغير المنفعل : « أجل ، لقد كانوا فى منتهى السوء ·· فى منتهـــى الســـوء حتى يكتبوا الى البيت »

لقد كان سماع مثل هذه الكلمات من شخص ما لايمكن تصديقها · **فقلت :** « هذا كلام فارغ · انا لا اصدق ذلك » ومن المحتمل اننى بدوت غاضبة **عندما اضفت :** « ماهذه الأشياء التى كنت تقولها ؟ »

كان غضبى كله منصبا على المسئولين فى المدرســـة الذين حاكموه وادانوه ، وجعلـــه ذلك يتجه ثانية ناحية النافذة · وجعلتنى هذه الحركة اقفز ثانية تجاهه واحتويه بين ذراعى وانا اصرخ · فلقد ظهر شبح كوينت المرعب مرة ثانية خارج النافذة ، وكان يضغط بوجهـه الأبيض الشاحب القاسى على الزجاج حتى اتوقف عن ســـؤال الصبى وموقف اعترافاته ·

كنت امسك مايلز بشىء من القوة ، ويبدو انـه تبين الحقيقة ؟ وفجأة احسست يقينا بأن ذلك وهـم ·· وان

الناقدة مازالت امام ناظرى خالية من اى شىء . وهكذا كان انتصارى على كوينت كاملا ، وأن مايلز قد أنقذ ! احتضنته بشدة **وصرخت فى الزائر :** « كفى ، كفى ، كفى »

واتجهت عينا الصبى صوب اتجاه كلماتى **وسألنى وهو يلهث :** « هل هى هنا ؟ » .

فأجبت باندهاش : « هى ؟ »

فصاح بغضب مفاجىء : « الآنسة جيزيل ـ الآنسة جيزيل ! »

أصابتنى دهشة . واعتقدت أن أفكاره قد ارتبطت برحيل فلورا ، وجعلنى ذلك أود أن أبين له أن الحقيقة كانت أفضل من ذلك ، « انها ليست الآنسة جيزيل ! لكن الموجود خارج النافذة .. أمامنا مباشرة .. ذلك المخلوق الجبان ! وهو هناك لآخر مرة ! » .

حول رأسه . مثل كلب يتشمم رائحة ما . وبدأ يتطلع الى النافذة بنوع من الشراسة ، لكن عبثا أن يعثر على شىء . فلم يستطع أن يرى شيئا ، رغم أن الروح الشريرة

كانت تملأ أرجاء الحجرة ، وكانت بالنسبة لى مثل مذاق السم .

وقال وهو يلهث ثانية : « أليس هو ذاك ؟ »

فسألته : « ماذا تقصد « بهو » ؟ »

ـ بيتر كوينت .. انت أيها الشيطان !

وأخذ يتطلع ثانية فى ارجاء الغرفة : « اين انت ؟ »

مازال صوته يرن فى اذنى ، عندما قال اسمه ، ولن أنسى ذلك أبدا .

قلت : « لاتخشى شيئا الآن يامايلز ، لن يسبب لك اى شىء أبدا ! .. لقد أنقذتك ، أما هو ... »

والتفت ناحية الوحش الموجود خارج النافذة « ... فقد افتقدك الى الأبد ! » . وعندما أجبت على سؤال الصبى الأخير ، أشرت بأصبعى ناحية وجهه الشيطانى الشاحب . « هاهو ، هناك ! » .

وكان مايلز قد استدار بالفعل ، واخذ يتطلع ويتطلع ولم يرى سوى ضوء مابعد ظهيرة يوم من ايام نوفمبر · وازاء افتقاده لرؤية اى شىء ، والذى كنت فخورة بـه جدا ، انطلقت منه صرخة عالية طويلة ، كما لو ان احدا دفعه من فوق حافة عالية · امسكت به ثانية واحتضنته ، لكن بعد مضى دقيقة بدأت ادرك ماكان بين ذراعى · كنا وحدنا في ذلك اليوم ، وقلبه الصغير الذى تحرر اخيرا ، قد توقف عن الدق !!

مع تحيات Mma75Online
MmaWorld@Hotmail.com